عبد البديع صقر

التجويد وعلوم القرآن

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة التاسعة

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

طبع بالمطبعة الفنية ت : ٣٩١١٨٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة قسم علوم القرآن

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن والاه .

وبعد ..

فقد نويت أن أدوِّن معلومات مُركَّزة حول كتاب الله العزيز فى محاولة لزيادة توقيره ومعرفة علومه ونفى الباطل عنه – ولهذا أرجو أن أتمكن من توزيع آلاف النسخ منه مجاناً إن شاء الله – وإنما أنا ناقل للعلم – فما ترك الأول للآخر شيئاً – وربما ذكرت للقارىء الكريم شيئاً من التعليقات التى هى من هموم النفس وآلامها من جرَّاء انحرافات المنحرفين – هداهم الله .

ومن المختصرات التى أعجبتنى فى نفس الموضوع كتب :

- القرآن المجيد – لمحمد عزة دروزة – طبعة المطبعة العصرية بصيدا .
- مباحث فى علوم القرآن – للدكتور مناع القطان .
- علوم القرآن – لأحمد عادل كمال – طبعة القاهرة .

وإنى أرحب بكل نقد أو توجيه يصلنى عن طريق الناشر لإثباته فى الطبعات التالية إن شاء الله ، فالعلم أمانة وهو شركة بين أهله – ونسأل الله التوفيق والحمد لله رب العالمين .

القاهرة فى صفر الخير سنة ١٣٩٧هـ (يناير سنة ١٩٧٧ م) .

المؤلف

الفصل الأول

تنزيل القرآن

- كيف كان ينزل .
- أسباب النزول .
- الجمع والتدوين .
- المتشابهات .
- المصاحف .
- آداب التلاوة .
- القراءات .

كيف كان ينزل الوحى

قد يكون الوحى إلهاماً من عند الله يقذفه فى قلب نبى من أنبيائه على وجه من العلم لا يشك فيه مطلقاً . مصداق قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾ (٢) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « إن روح القدس نفث فى روعى أن لا تموت نفس حتى تستوفى أجلها ورزقها ».

ومن الوحى ما يكون رؤيا صادقة تقع وتتحقق – ومعلوم أن رؤيا الأنبياء لا تكذب ، وأنها ليست من أضغاث الأحلام كما تكون أحياناً مع سائر البشر . مصداق قوله عليه الصلاة والسلام : « إنى أريت الجنة ولم أر أجمل ولا أبهى منها منظراً – ولقد هممت أن آتيكم بقطف منها ، ثم ذكرت أن ذلك يكون فى الآخرة » ، « وإنى أريت النار ولم أر أفظع منها منظراً ، ورأيت فيها المرأة التى حبست الهرة فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خَشاش الأرض » .

ومنه ما يكون بواسطة الملك جبريل أمين الوحى . ويسميه العلماء بـ « الوحى الجلى » أى الشديد الوضوح والتحديد . ووحى القرآن جميعه من هذا النوع ، بدليل أن جبريل عليه السلام كان « يُسَمِّعْ » القرآن للنبى ﷺ كل عام – أى يسمع تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم وحفظه ، مصداق قوله تعالى :

(١) الشورى : ٥٢ (٢) الجن : ١ – ٢

﴿ لاَ تُحَرِّكْ به لسَانَكَ لتَعْجَلَ به * إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (١) .

وفى هذا رد على بعض المستشرقين المغرضين الذين صوّروا الوحى الإلٰهى على أنه رؤى وأحلام وتخيلات من جانب شخص ذكى هو « محمد » . والله تعالى يقول قطعاً لكل شك : ﴿ نَزَلَ به الرُّوحُ الأمينُ * عَلَى قَلْبكَ لتَكُونَ منَ المُنْذِرينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِّى مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

وكان رسول الله ﷺ يتعرض لتغيرات بدنية معينة يمكن أن يدركها القريبون منه عند نزول الوحى :

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً » .

وعنها : « إن جبريل أتاه وركبته على ركبتى فثقلت علىّ جداً » .

وكان الوحى يأتيه أحياناً مثل صلصلة الجرس - فيفصم عنه وقد وعى ما قال ، وأحياناً يأتيه فى هيئة رجل من وجهاء العرب يسمى « دحية الكلبى » ويكلمه فيعى ما يقول .

وعلى أثر ذلك كان رسول الله ﷺ يستدعى واحداً أو أكثر من الصحابة الكاتبين فيُملى عليه ما نزل من القرآن . وقد عُرِفَ من كتّاب الوحى : علىّ بن أبى طالب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان وزيد بن ثابت وأُبَىّ بن كعب وعبد الله بن أبى السرح .

* * *

(١) القيامة : ١٦ - ١٩

(٢) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥

أسباب النزول

لقد نزل القرآن الكريم لأغراض شتّى - كما سنوضحه فى باب أقسام القرآن - من هذه الأغراض - تصحيح وقائع التاريخ ، والإجابة على التساؤلات ، وبيان الشريعة وحكم الله تعالى فى أمور معينة عرضت للناس .

والدارس للقرآن الكريم وعلومه ، يحتاج بالضرورة إلى معرفة أسباب النزول لينقل نفسه إلى جو التنزيل وسيجد متعة كبيرة فى تلك المعرفة ولا شك ، وقد جمع الإمام « السيوطى » أكثر هذه الأسباب فى كتاب واحد سماه « لباب النقول فى أسباب النزول » كما أنه موجود على هامش بعض طبعات تفسير الجلالين - كما أن السيرة النبوية مليئة بأسباب النزول أيضاً .

ويستطيع الناظر فى كتاب الله أن يتعرف على ملابسات النزول فى الآيات المسبوقة بقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ .

ففى سورة البقرة مثلا : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، قُلْ ... ﴾ (١) .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ ... ﴾ (٢) .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ ... ﴾ (٣) .

وفى سورة الأنفال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ، قُلِ ... ﴾ (٤) .

وفى سورة الكهف : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ ، قُلْ ... ﴾ (٥) .

وفى سورة النازعات : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ (٦) .

وأحياناً تأتى كلمة : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ (٧) .

وأحياناً يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (٨) .

---

(١) البقرة : ٢١٩ (٢) البقرة : ٢١٩ (٣) البقرة : ٢١٧
(٤) الأنفال : ١ (٥) الكهف : ٨٣ (٦) النازعات : ٤٢
(٧) النساء : ١٧٦ (٨) البقرة : ١٨٦

والأمثلة فى هذا كثيرة ...

والذى نحب أن نشير إليه هو أن معرفة أسباب النزول تساعد على إدراك المعنى ، بل لا بد منها للمفسرين والفقهاء الذين يحتاجون لاستنباط الأحكام مباشرة من كتاب الله العزيز .

وإنما نبهنا إليها فى هذا المختصر بإشارة عابرة حتى يقوم الدارسون بالرجوع إليها فى مواطنها - ومثلها معرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات البيِّنات .

* * *

جمع القرآن وتدوينه

لقد كان الرسول ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب .

فكان هناك كتَّاب للوحى ، منهم : علىّ بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وزيد بن ثابت .

وقد أمر النبى ﷺ بكتابة القرآن ، فكُتِبَ كله ، وراجعه معه جبريل عليه السلام عدة مرات .

إلا أنه لعدم توافر الورق كانوا يكتبون على عظام أكتاف الجمال وأضلاعها ، وقطع الجلود وجريد النخل ونحوها ، وكان المسلمون ينقلون السوَر فى مثل هذه الأشياء المتفرقة الكبيرة الحجم ، فكانت سورة البقرة مثلاً لا تُحفظ إلا فى حجرة كبيرة .. وإنما كان الاعتماد الأكثر على حفظ الصحابة للقرآن فى صدورهم غيباً .

فلما جاءت حروب الرِّدة ومسيلمة الكذَّاب ، قُتِلَ عدد كبير من حُفَّاظ القرآن ، وهم يجاهدون فى سبيل الله .

فأشار عمر بن الخطاب على الخليفة أبى بكر رضى الله عنهما أن يُكَلِّف رجالاً بجمع القرآن ، فكلَّفوا زيد بن ثابت ومعه جماعة بالقيام بذلك ، وقاموا فعلاً بهذا العمل العظيم ، فجمعوه فى الصحف ، وحققه الصحابة ، وأجمعوا على مطابقته لما فى السطور والصدور بدقة وأمانة لا يعرف التاريخ لها مثيلاً .

فلما كانت خلافة عثمان رضى الله عنه - اختلف الناس فى لهجات القرآن وقراءته . لأن قبائل العرب كانت تقرأ بلهجاتها الخاصة ، وكان الرسول ﷺ يسمح لهم بذلك تسهيلاً عليهم فى بدء نزول القرآن كما علّمه جبريل عليه السلام ، فكان أهل البصرة يأخذون بقراءة أبى موسى الأشعرى ، وأهل الكوفة يأخذون عن عبد الله بن مسعود ، وأهل دمشق يعتدون بقراءة أُبىّ بن كعب ، وأهل حمص يوافقون قراءة المقداد بن الأسود .

فلما كانت خلافة عثمان رضى الله عنه ، أشار عليه حذيفة بن اليمان بتوحيد هذه القراءات حتى لا يختلف المسلمون بسببها كما اختلفت اليهود والنصارى .. فطلبوا المصاحف التى أمر بجمعها أبو بكر وعمر وأعادوا تدوينها مع المقارنة بالمصاحف التى فى عواصم الدولة الإسلامية ، ووّحدوا قراءتها على لغة قريش ، وهى التى نزل بها القرآن ، ثم أمر بإحراق ما عداها من المصاحف الخاصة - ووّزع من النسخ الجديدة على البلاد .

فهذا هو الذى يسمى الآن مصحف عثمان أو المصحف الإمام [١].

إذ كانت مهمة أبى بكر هى جمع المصحف وحصره فى كتاب واحد . ومهمة عثمان هى تحقيق القراءات واللهجات بين القبائل .

وفى عهد عبد الملك بن مروان أمر الحجاج بن يوسف بوضع النقط والشكل على حروف المصحف - لأنه لم يكن منقطاً ولا مشكلاً بالفتحة والضمة والكسرة والسكون .

وتوالت جهود المسلمين بعد ذلك ، فنظّموا الأجزاء والأرباع والسجدات حتى أصبح المصحف فى الشكل الذى نراه الآن .

وقد أجمع المحققون فى العالم - من مسلمين وغير مسلمين - على أن القرآن الكريم هو أصح الكتب فى العالم ، فلم يحصل فيه تبديل ولا تحريف ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٢] .

* * *

(١) يجب التفريق بين قولنا « مصحف عثمان » نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفان وبين كلمة « بخط الحافظ عثمان » وهو خطاط تركى ، كما يجب التفريق بين « أبو حفص » عمر بن الخطاب وقراءة « حفص » وهو أحد علماء القراءات المتوفى سنة ٢٤٦ هـ .

(٢) الحجر : ٩

المكى والمدنى

لقد نزل القرآن على رسول الله ﷺ منجماً - أى : مقسطاً - خلال ٢٣ عاماً تقريباً ، وفى مناسبات مختلفة . فنزل بعضه فى مكة ويسمى بـ « المكى » ، ونزل بعضه فى المدينة ويسمى بـ « المدنى » .

والذى نزل فى مكة يتميز بأنه قوى الألفاظ ، قصير الفقرات يدور فى معظمه حول التوحيد ، أو التهديد ، أو وصف الجنة والنار كأكثر سور جزء « عم » لأن ظروف الدعوة كانت تستدعى هذا ، كقوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [2] .

والذى نزل بالمدينة يتميز بأنه طويل الفقرات يدور حول القصص، وأحكام الشريعة ، وتنظيم الدولة ، والدعوة إلى الرحمة والتسامح.

ذلك لأن ظروف الدعوة كانت تستدعى هذا بعد أن استقرت فى شكل دولة ، واتضحت أصول العقيدة عند الكثيرين .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّىً فَاكْتُبُوهُ ﴾ [3] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ، أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾ [4] ... الآيات .

ولا فرق بين المكى والمدنى من القرآن الكريم ، إنما هو تقسيم نظرى يفيد فى معرفة تاريخ نزول الآيات .

* * *

---

(١) المسد : ١
(٢) الكوثر : ١
(٣) البقرة : ٢٨٢
(٤) الأنعام : ١٥١

المتشابهات

اقتضت إرادة الله تعالى أن يكون كلامه الكريم معجزاً للبشر .

ففيه آيات تتشابه في معانيها وألفاظها مثل قوله تعالى في البقرة : ﴿ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ (١) ، وقوله في الأعراف : ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً ﴾ (٢) .

وقوله تعالى في البقرة ، والأنعام : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾ (٣) . وقوله في آل عمران : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى في البقرة : ﴿ هَذَا بَلَداً آمِناً ﴾ (٥) ، وفي سورة إبراهيم : ﴿ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً ﴾ (٦) وقوله تعالى في الكهف : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (٧) ، وفي السجدة : ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (٨) .

وقوله تعالى في آل عمران : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ (٩) ، وفي مريم : ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ (١٠) .

وهذه تضيف صعوبة على القارىء الذى يتلو غيباً ولكنها تضطره إلى دوام الانتباه بحيث لا يكون مدعاة للأداء مع الغفلة .

وفي ذلك يقول بعض الحفّاظ : « لولا المتشابهات في القرآن لتغنى به الصبيان » . أى لكان من أسهل الأشياء حفظاً .

وتعني المتشابهات أيضاً ما تشابه معناه واحتمل تأويلات مختلفة ، ويحذّر الله من سوء التأويل بقوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ (١١) .

وسيأتي الكلام على ذلك في فصول تفسير القرآن .

* * *

(١) البقرة : ٥٨ — (٢) الأعراف : ١٦١ — (٣) البقرة : ١٢٠ ، الأنعام : ٧١
(٤) آل عمران : ٧٣ — (٥) البقرة : ١٢٦ — (٦) إبراهيم : ٣٥
(٧) الكهف : ٥٧ — (٨) السجدة : ٢٢ — (٩) آل عمران : ٤٧
(١٠) مريم : ٢٠ — (١١) آل عمران : ٧

تقسيمات المصحف

المصحف الشريف كتاب واحد متكامل ، يقع دائماً فى مجلد واحد – وكانت المصاحف فى صدر الإسلام مجردة من التجزئة وقد بيّن رسول الله ﷺ للناس مواضع السور وحدودها فقط . فلما امتد الزمن بالناس وزادت العناية بالقرآن قسّمه القرّاء والخطّاطون إلى ثلاثين جزءاً وقسّموا كل جزء إلى ثمانية أقسام ، سموا كل قسم منها ربعاً – وهو يعادل ورقة واحدة من صفحتين تقريباً . وزاد بعضهم فوضع علامة على كل عشر آيات وسموها عُشراً .. إلخ – وبعض العلماء يجيز ذلك وبعضهم يقول بكراهته لأن رسول الله ﷺ لم يفعله .

ولكن هذا التقسيم أفاد الناس ويسّر تلاوة القرآن خصوصاً فى صلاة التراويح – حيث يستطيع الإمام أن يختم القرآن فى الصلاة فى اللّيالى الثلاثين من شهر رمضان .

وقد أحصيت سور القرآن فإذا هى (١١٤) سورة ، وعدد آياته (٦٢٣٦) آية على خلاف يسير فى بعض المصاحف .

* * *

إملاء المصحف

كان تدوين المصحف الكريم – أول الأمر – بدون ترقيم الآيات ! وبدون تشكيل ، ولا نقط للحروف .

ومع ذلك كانوا يقرأون قراءة صحيحة بسبب كثرة الحفّاظ ، وسلامة الفطرة .

فلما اتسعت الفتوح ، ودخل فى الإسلام غير العرب ، دعت الحاجة إلى التدقيق فى النسخ والقراءة فنشأ علم الإملاء و « الوراقة » وهو فن الكتابة وما يتصل به ، ونشأ علم « التجويد » وهو فن الأداء الصحيح للتلاوة والترتيل .

وفى الفترة التى تم فيها جمع القرآن وتدوينه تحت إشراف الدولة الإسلامية وأئمة الهدى . كانت قواعد الإملاء على الشكل الذى نراه حالياً فى المصاحف .

ولم يجرؤ أحد على تغييره – خوفاً من تحريف كتاب الله – مع أن الإملاء المعتاد قد طرأ عليه تعديل مع تطور الأزمان .

وهذا هو السبب فى ما يلاحظه المبتدىء من صعوبة يسيرة فى قراءة المصحف ، فمثلاً :

﴿ الرَّحْمٰنِ ﴾ : نحن نكتبها : الرحمان

﴿ السَّمٰوٰتِ ﴾ : نحن نكتبها : السماوات

﴿ الصَّلٰوة ﴾ : نحن نكتبها : الصلاة

﴿ الزَّكٰوة ﴾ : نحن نكتبها : الزكاة

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ : نحن نكتبها : أيها الثقلان

﴿ لأَاذْبَحَنَّهُ ﴾ : لأذبحنه

﴿ آلَمّ ﴾ : ألف - لام - ميم

﴿ حَمّ ﴾ : حا - ميم

ولما كان الأصل فى أخذ القرآن أن يكون بالتلقى خلفاً عن سلف - فلذلك يستطيع المبتدىء إدراك الفرق بين الرسم القديم والإملاء الحديث . ويعتاد القراءة بإملاء المصحف دون مشقة .

* * *

رموز المصحف

وقد اهتم كتّاب المصاحف كذلك بوضع الإشارة التى تخدم تلاوة القرآن ، وترشد القارىء إلى موضع الوقف الجائز والممنوع ، وإلى أحكام التجويد كالإدغام والتنوين ونحوهما ، ومن أمثلة ذلك :

م : علامة الوقف اللازم

ط : علامة الوقف المطلق ، أو الطيب أي : أن الوقف أحسن

ج : علامة الوقف الجائز الذى يستوى مع الوصل

ص : علامة الوقف المرخّص به بسبب

صلى : علامة على أن الوصل أولى من الوقف

لا : علامة الوقف الممنوع
قلى : علامة على أن الوقف أولى
س : علامة سكتة على الحرف

ٌ ً ٍ : تركيب الحركتين (ضمتين أو فتحتين أو كسرتين) يدل على إظهار التنوين في الضم أو الفتح أو الكسر نحو : ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ، ﴿ وَلاَ شَرَاباً إلاَّ ﴾ ، ﴿ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ .

ٌ ً ٍ : تتابعهما مع تشديد الحرف التالى : يدل على الإدغام نحو : ﴿ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ ، ﴿ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ ، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ .

ٌ ً : تتابعهما مع عدم تشديد التالى : يدل على الإخفاء فى الضم نحو : ﴿ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ ، ﴿ سِرَاعاً ذَلِكَ ﴾ ، ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ ﴾ . أو الإدغام الناقص ، نحو : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ ، ﴿ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ . فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف ، وتتابعهما بمنزلة تعريته عنه .

ْ : علامة على السكون

ومثل هذه الرموز مبينة فى الصفحات الأخيرة لمعظم المصاحف على اختلاف فيها ، ويحسن الإلمام بها .

* * *

أنواع المصاحف

● لا يسمى « مصحفاً » إلا ما كان قرآناً كاملاً مكتوباً باللُّغة العربية ، فإن لم يكن قرآناً سمى كتاباً ، وإذا لم يكن كاملا سمى جزءاً ، وإذا لم يكن بالعربية سمى تفسيراً أو ترجمة للمعانى .

● وفى حدود التدوين بالعربية توجد الآن مصاحف كثيرة بالخط : المغربى ، والكوفى ، والإيرانى ، والباكستانى وغيرها – ولكن من السهل على المتعلم أن يقرأها ويتعبد بقراءتها ، كما أن من اليسير على تلك الشعوب أن تقرأ مصاحفنا المتداولة وهى التى تمثل الغالبية العظمى من المصاحف فى بلاد العالم .

● وقد اهتم حكّام المسلمين وأغنياؤهم منذ قرون بالعناية بالمصاحف الشريفة واستنساخها وتعظيمها - ولا تزال توجد فى المكتبات والمتاحف مصاحف مكتوبة بالذهب الخالص وأخرى معطرة الورق وغيرها ملونة بغاية الدقة ، كما تفننوا فى التجليد وعمل الصناديق الفاخرة لحفظها .

● وبعض الحكّام كانوا من غير الحفّاظ - لكن شعوبهم كانت تطالبهم بالإمامة فى الصلاة وطول القراءة فوُجدَت المصاحف الكبيرة التى تُقرأ من بعيد وتُقَلّب صفحاتها بعصاً طويلة ، ولا تزَال هذه الأنواع مودعة بدار الكتب المصرية حتى الآن .

وقد رأينا مصاحف مكتوبة سطراً من القرآن الكريم وسطراً من ترجمة معناه إلى اللغة الإيرانية أو التركية أو الأندونيسية ، وهكذا

كما أنه توجد بعض مصاحف أهل القرن الأول الهجرى ويمكن قراءتها حتى الآن .

* * *

مس المصحف

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يمس القرآن إلا طاهر »

واتفق علماء المسلمين على أن الطهارة من الحَدَثين - الأصغر والأكبر - شرط لتناول المصحف .

لكن بعض العلماء أجاز لمس المصحف والقراءة فيه بغير وضوء لضرورات محدودة ، كأن يكون للمعلم والمتعلم استناداً إلى أن المقصود بـ « الكتاب المكنون » هو اللّوح المحفوظ ، وإلى أن تحقق الخير هو هدف الإسلام ، وأن رفع المشقة عن الناس هى من روح الدين .

* * *

(١) الواقعة : ٧٧ - ٨٠ .

الناسخ والمنسوخ

قال الله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

إن هذه الإشارة صريحة فى أن النسخ فى القرآن حقيقة واقعة ، ولكن مفهوم النسخ أمر اختلف فيه العلماء .

فمنهم مَن قال : إن النسخ بمعنى الإلغاء والتبديل لا يجوز فى حق الله تعالى ، لأن فيه القول بـ « البداء » على الله ، وهو مذهب بعض الفرق الضالة ، ومنهم مَن قال بأن المراد بالآية هو نسخ الشرائع القديمة باعتبار أن شريعة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام تمحو ما قبلها .

ومعلوم أن كل شريعة نبى تمحو وتنسخ الشرائع المتقدمة عليها وإن كان جوهر تلك الشرائع واحداً من حيث الدعوة إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه .. وإجماع المسلمين على أن النسخ وارد بمعنى رفع حكم شرعى سابق بحكم لاحق مع وجود فترة زمنية بينهما تطول أو تقصر . وذلك لحكمة اقتضتها إرادة الله فى تدرج التشريع .. مع التسليم بأن الله تعالى أنزل القديم والجديد معاً من عنده ولكنه أراد هذا التدرج رحمة بعباده ورفعاً للمشقة أو الحرج عنهم .

وهذا واضح فى تحريم الخمر .. وتدرج التحريم .

وفى مناجاة النبى ﷺ .. وإلغاء الصدقة التى كانت واجبة لذلك .

وفى تقويم المقاتل من المؤمنين بجملة مقاتلين من غير المؤمنين .. وهكذا .

وقد وُضعَت كتب خاصة لبيان الناسخ والمنسوخ من الأحكام .

كما أن ذلك وارد فى خلال كتب التفسير المعتمدة فليرجع إليها مَن أراد .

* * *

---

(١) البقرة : ١٠٦ .

القراءات

دعانا رسول الله ﷺ إلى تلاوة القرآن ، وحفظه ، وتحفيظه ، والتغنى به ، وسماه ربيع قلوبنا .. لكى يحل فى النفس محل الفنون التى كانت متداوَلة ويقضى به على اللّهو المحرَّم وسجع الكهان فى الجاهلية . وحتى نحبه فنحب أحكامه وننقاد لها . وبذلك يتم صلاح أحوالنا وحال المجتمع . هذا كله حق وجميل .

ولكن العامة – دائماً – يميلون للتحريف ، وتسوقهم الشهوات إلى مداخل الغلط ، فما الذى حصل اليوم لتلاوة القرآن ؟

لقد استغل فريق من الناس رخصة القراءات التى رخَّص بها الرسول ﷺ لبعض القبائل فجعلوا القرآن ﴿ عِضِين ﴾ [1] وهذه الكلمة فى القرآن معناها : « عبثاً وسخرية » والآية التالية لها قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [2]

أصبح بعض القرّاء نوعاً من الفنانين والممثلين – له جمهور معجب باللحن والحنجرة الذهبية – ﴿ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ ﴾ [3] لا يبالى القارىء بالمعنى ولا بآداب التلاوة . إنما هو الهتاف والطرب – ومن وراء ذلك الغفلة والعصيان .

وللعلماء كلام فى موضوع القراءات – يستحق أن نرجع إليه .

قال الإمام الطحاوى والقاضى الباقلانى وأبو عمر بن عبد البر وغيرهم من العلماء [4] : « إن القراءات جميعاً كانت رُخصة فى أول الأمر لتعسر القراءة

(١) الحجر : ٩١ (٢) الحجر : ٩٢ – ٩٣ (٣) الأعراف : ٢٠٢

(٤) انظر كتاب الفرقان لابن الخطيب ص ١٦٧ وما بعدها .

بلغة قريش على كثير من الناس - ثم نُسِخَت بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة » .

وهذا الكلام فيه نظر لأن جبريل عندما أقرأ النبى ﷺ فى العرضة الأخيرة لم يأمره بنسخ القراءات .

ويقول ابن قتيبة : « كان من تيسير الله أن أمر نبيه أن يُقرىء كل قوم بلغتهم - أى بأدائهم الطبيعى فى النطق - فالتميمى مثلاً كان ينطق الهمزات ، والقرشى يسهل الهمزة . والهُذيلى يقرأ الحاء عيناً . والأسدى يكسر أول الفعل المضارع » .

والإمام الطبرى يقول : « إن الذى قام به سيدنا عثمان هو إنهاء حالة الخلاف على هذه اللهجات - ولم يعد لها موضع بعد كتابة المصحف الإمام » وقد استوثقت له الأمة على ذلك بحمد الله .

فما بالك اليوم بقارىء يقرأ لنا باللَّهجة التى لا نعرفها ولا نألفها .

فهو إما مشغول بنفسه عارض للأزياء اللُّغوية - وإما أنه مكلَّف بتعسير الذكر وتصعيب فهم القرآن على السامعين .

أما إذا كانت القراءة تبين معنى تفسيرياً جيداً مع توفر التقوى وخشية الله كقوله : ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ - و - ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً ﴾ [(١)] . فَلا بأس من ذلك .

وهناك مقياس صالح فى الموضوع ..

وهو أن نتخيل كيف كان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن فنقرأ مثل ذلك وكيف كان يُعَلِّمه جبريل عليه السلام فنقلده بأدبه وخوفه وحزنه ووقاره .

ولا يستطيع مؤمن عاقل أن يتصور هذا العبث الذى يُسَلَّط على المسلمين من ميكروفونات اليوم سواء فى أفراحهم أو فى مآتمهم .

* * *

---

(١) الإسراء : ٣٨

آداب التلاوة للقارىء

● يُسْتَحب لقارىء القرآن أن يكون على وضوء عند قراءة القرآن [١] .

● ويحسن له أن يجلس بهيئة حسنة ، مستقبلاً القبلة فى مكان مناسب ، وأن يقرأ بخضوع وخشية وتمعن وهو منصرف بقلبه وحواسه للقراءة ، فلا يعبث بشىء ، ولا ينشغل عنه بشىء .

● وأن تكون قراءته احتساباً لوجه الله ، فلا يطلب عليها أجراً ، ولا ينافس بها أحداً ، ولا يقصد بها إرضاء الناس ، ولا يتلاعب بالآيات .

● ويحسن به أن يراعى ظروف السامعين ، فلا يطيل عليهم ، فيسبب لهم الملل ، أو يزعجهم برفع الصوت ، خصوصاً عند وجود مريض ، أو عند من يدرس العلم ، أو عند راحة الناس ، بل يختار الأوقات والمناسبات التى تكون النفوس فيها نشيطة مستعدة حتى لا يكون القارىء ممن ﴿ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عوَجاً ﴾ [٢] .

● ويُكْرَه له قطع القراءة لشىء من أمور الدنيا ، كما يُكْرَه له أثناءها تناول الطعام – ويُعْفَى من رد السلام لأن ما هو فيه أفضل إذا وُجِدَ مَن يقوم بواجب رد السلام .

● كما يحسن به أن يفسر بعض الآيات للسامعين ، أو أن يوضح ما يعرض فيها من أحكام ، إن كان من أهل العلم .

● ويجب الحرص على تكريم المصحف ، فلا يوضع فى مكان منخفض ، ولا توضع فوقه الكتب والأدوات الأخرى ، ولا يمسه إلا طاهر ، ولا يُسَافَر به إلى أرض العدو إذا خيف عليه ، وإذا بَلِىَ أن يُحْرَق ويُصان ترابه عن النجاسات .

* * *

---

(١) وقال بعضهم بوجوب ذلك لقوله تعالى : ﴿ لاَ يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (الواقعة : ٧٩) وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يمس القرآن إلا الطاهر » والأدلة عليه كثيرة .

(٢) الأعراف : ٤٥ ، هود : ١٩ ، إبراهيم : ٣

آداب التلاوة للمستمع

● ينبغى للمستمع أن يستمع بأذنه ، وينصت ويخشع بقلبه لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِىءَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنْصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

● ولا يجوز لمستمع القرآن أن يعلق على التلاوة بعبارات من عنده كقول بعضهم : « الله الله يا شيخ » أو « أعد أعد » أو نحو ذلك - لأننا نحن أقل من أن نصدر أحكاماً وتعليقات على كلام الله ، وكل ما يُطلب منا هو التدبر والخشوع .

● ويمتنع الشراب والطعام فى مجلس القرآن - إلا لضرورة - كما يمتنع التدخين والضحك وكل ما يذهب بوقار المجلس - على أنه يجوز للمعذور أن ينصرف من مجلس القرآن دون اعتراض قلبى عليه .

● ويحسن أن يغلب على مستمع القرآن الحزن والخوف ، وأن لا يستخفه الطرب وحسن الصوت - لقوله ﷺ : « إن هذا القرآن نزل بحَزَن ، فإذا قرأتموه أو سمعتموه فابكوا ، فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا » أى أظهروا البكاء .

* * *

سجدات التلاوة

هناك مواضع فى القرآن الكريم إذا قرأها الإنسان أو سمعها ، فعليه أن يخر ساجداً لله تعالى إن كان على وضوء لأنه يُشتَرط فيها ما يُشتَرط فى الصلاة وهى (١٤) سجدة ، ولها علامات فى هامش المصحف .

وكيفية ذلك : أن تستقبل القبلة ، وتنوى بقلبك سجود التلاوة ، تسجد سجدة واحدة ، وترفع رأسك وتسلم عن يمينك ، ويُستَحب أن تقول فى سجودك هذا الدعاء : « اللّهم اكتب لى بها عندك أجراً ، وضع عنى بها وزراً ، واجعلها لى

(١) الأعراف : ٢٠٤ .

عندك ذخراً ، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داوود عليه السلام » أو ما شئت من أدعية السجود .

أما إذا لم تكن على وضوء فيُستَحب أن تقول ثلاث مرات : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

* * *

ختم القرآن

لقد أنزل الله هذا الكتاب ليكون تربية دائمة لأتباع هذا الدين ، ودعانا إلى تلاوته بقوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ ﴾ (١) وقال ﷺ : « اقرأوا القرآن .. فإن الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات ، لا أقول « ألم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وكان بعض الصالحين يختم تلاوة القرآن مرة كل ثلاثة أيام ، وبعضهم يختمه مرة كل عشرة أيام ، ولكن يرى علماء المسلمين أفضلية ختمه مرة فى كل شهر ، فقد كان أكثر الصحابة والتابعين يفعلون ذلك .

ورُوِىَ أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرآن :

« اللّهم إنَّا عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء إمائك ، ناصيتنا بيدك ، ماض فينا حكمك ، عدل فينا قضاؤك ، نسألك بكل اسم هو لك ، سميتَ به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك أو علّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرتَ به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور أبصارنا وشفاء صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا ، وسائقنا وقائدنا إليكَ وإلى جنات النعيم ، ودارك دار السلام مع الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ، برحمتك يا أرحم الراحمين » .

* * *

(١) النمل : ٩١ - ٩٢

تعليم القرآن

إن تعليم القرآن هو أشرف عمل فى هذه الحياة ، لأنه تنوير عقول الخلق بنور الله مباشرة .. ولذلك يقول النبى ﷺ : « خيركم مَن تعلّم القرآن وعلّمه » .

وينبغى أن يكون تعليم القرآن احتساباً ومجاناً لوجه الله تعالى ، فلا يؤخذ عليه أجر ، وكذلك الأعمال التى تتصل بالعبادة كتعليم الدين واللُّغة العربية ، والأذان ، والإمامة ، والوعظ ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وتجهيز الميت وحمله ودفنه ، وقد قال بعض العلماء : إنه يجوز للرجل المنقطع لوظيفة من هذه الوظائف أن يأخذ من مال الدولة ما يساعده على الحياة كثمن للوقت لا للعمل الدينى ، ولكن بشرط ألا يطلب من الناس شيئاً ، ولا يشترى بآيات الله ثمناً ، ولا يخاف فى الله لومة لائم (١) .

ومما يؤسف له أن معظم الدول الإسلامية قصَّرت فى رعاية هذه الشئون ، فاحتاج القائمون بهذه الأعمال إلى ضرورات الحياة وأصابهم الفقر والضر ، فنزلت درجتهم فى نظر الناس كثيراً ... ولكن يجب علينا أن نعرف حق العاملين ، وأهل القرآن ، ونطالب بإنصافهم ، لأن فى ذلك رفعاً لقدرهم ، وإعزازاً لكرامة الدين ، لقوله ﷺ : « حامل القرآن حامل راية الإسلام ، من أكرمه فقد أكرم الله ، ومَن أهانه فعليه لعنة الله » .

نعم .. إن تعليم القرآن والعلوم الشرعية هو أرقى عمل فى هذه الحياة ، وما عند الله خير وأبقى .

والأفضل أن يُقرأ القرآن من البقرة إلى الناس على ترتيب المصحف .. وأما الابتداء فى التعليم من آخر المصحف نحو أوله فقد استحسنه بعض العلماء .

* * *

---

(١) لعل من أروع تعاليم الإسلام أن تكون هذه الأعمال الربانية الإنسانية كلها مجاناً واحتساباً لوجه الله حتى لا يحصل مانرى بعضه من خضوع الدعاة والعلماء لتوجيهات بعض الحكام الظالمين من كتمان العلم أو تحريف رسالة الإسلام لصالح تلك الأجهزة حرصاً على الحياة أو الرزق الذى يعطونهم إياه .

فضل القرآن

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، الذى أوحاه إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، فكان معجزة خالدة فى صدق الدعوة وقوة الإقناع ، وكان ولا يزال دستوراً خالداً على مر الأيام .. صالحاً لتنظيم شئون الحياة فى كل زمان وكل مكان ، لا تنقضى عجائبه ، ولا يمله الإنسان مع كثرة الترداد . وقد رغّبنا الله تعالى فى تلاوته وتدبر معانيه فى آيات كثيرة :

● الآيات :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ (٧) .

---

(١) فاطر : ٢٩ — (٢) النمل : ٩١ - ٩٢ — (٣) الفرقان : ٧٣
(٤) العنكبوت : ٤٥ — (٥) مريم : ٥٨ — (٦) البقرة : ١٢١
(٧) الفرقان : ٣٠ .

● بعض الأحاديث الشريفة :

قال ﷺ : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » [١] .

وقال ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السَفَرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » [٢] .

وقال ﷺ : « مَن قرأ حرفاً من كتاب الله ، فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول « ألم » حرف [ولكن] ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[٣] .

وقال ﷺ : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتِّل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها »[٤] .

وقال ﷺ : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين »[٥] .

وقال ﷺ : « اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه »[٦] .

فنسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن وممن يهدون بالحق وبه يعدلون .

* * *

مناهج للتحفيظ

● بعض الدول الإسلامية تترك قضية المحافظة على القرآن الكريم للجهود الشعبية والجمعيات الأهلية التى تتولى هذا الأمر وتمولها عواطف المتبرعين والمحسنين – وهذا تقصير رسمى ولا شك .. لأن القرآن دستور حياة الأمة وهو سبب سعادتها وعزتها ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ (أى شرفكم) ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ ؟ [٧] .

● وبعض البلاد تعهد للمدارس الرسمية بتحفيظ قدر يسير من الآيات أو قصار السور – فى المراحل الابتدائية فقط .. وهذا لا بأس به إلا أنه لا يكفى .

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة . (٢) متفق عليه من حديث عائشة .
(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذى من حديث ابن مسعود وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٤) أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وإسناده حسن .
(٥) أخرجه مسلم من حديث عمر رضى الله عنه .
(٦) رواه مسلم من حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه . (٧) الأنبياء : ١٠ .

● وبعض البلاد عمدت أخيراً إلى فتح اعتمادات مالية كبيرة لتشجيع معلمى القرآن والمتعلمين أثناء فترة الإجازات الصيفية - وهو مشروع جيد له أكثر من هدف - وجزى الله القائمين عليه خيراً .

● والذى نعتقد أن الأفضل والأمثل هو أن : نعمد إلى تنمية الدوافع الشخصية لدى أفراد الأمة من شباب وكبار لحفظ القرآن والإحاطة بعلومه ، مع تيسير الوسائل لهم - وذلك بإعطاء النابهين من الحفّاظ والعلماء الأولويات فى الوظائف والترقيات - أو شيئاً من التكريم فى المجتمعات .. أو نوضح لهم ما أعد الله لأهل القرآن من عظيم الدرجات يوم القيامة ، أو نجعل الإحاطة بقدر معين من القرآن شرطاً للقبول فى بعض الكليات والدراسات العليا (١) .

فبذلك يتنافس المتنافسون ، ويجدون السرور والشرف لنيل ما هم أهل له من الكرامة فى الدنيا والآخرة .

* * *

حفظ القرآن

أكمل درجات المسلم أن يكون حافظاً لكتاب الله ، بمعنى أن تكون الآيات محفوظة فى عقله وقلبه بترتيبها وصحتها كما جاء بها النبى ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل ، وبحيث يستعيدها الإنسان من ذاكرته متى شاء دون حاجة إلى المصحف ، وهذا النوع من الحفظ فى الصدور هو الذى أوصل إلينا القرآن سليماً من الضياع والتحريف عبر القرون ، فقد مرت على المسلمين عصور تعذر فيها التدوين ، وأماكن تعذر فيها حمل المصاحف كما نشاهد اليوم فى بعض البلدان الشيوعية ، فأصبح الاعتماد على ما حفظه حفّاظ القرآن كما حصل فى عهد أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما .

---

(١) أليس حفظ ثلاثين جزءاً من القرآن الكريم مع معرفة تفسيرها واستنباط الأحكام منها يعادل الدراسة النظرية أربع سنوات فى بعض الكليات النظرية . فلماذا لا يُعْطَى الحفاظ درجة الليسانس مثلاً لو بدأوا بالحفظ بعد الثانوية حتى يعيشوا على مستوى زملائهم الجامعيين ؟

كما أنه يُسَّن فى الصلاة أن يقرأ المصلى بسورة أو آية من حفظه بعد فاتحة الكتاب فى الركعتين الأوليين من كل صلاة ، وكما أن كثيراً من الأدعية الجيدة هى آيات من كتاب الله ، وفى القرآن الكريم أحكام شرعية ومواعظ جليلة تتمثل فى آيات معينة منه ، ويدل الاستشهاد بها على كمال عقل المتكلم بها وحسن منزلته الأدبية ، وهذا ما جعل غير المسلمين ينقلونها ويحفظونها ، ويسوقونها فى حديثهم وكتاباتهم ، لما فيها من روعة وجلال .

لهذا كله وجب عليك أيها المسلم أن ترتب على نفسك شيئاً من القرآن الكريم تحفظه كل يوم أو كل أسبوع عن ظهر قلب ، حتى تجد فى النهاية أنك حفظت مقداراً لا بأس به .

وقد ورد أن رسول الله ﷺ أراد أن يُعَيِّن قائداً لإحدى الغزوات ، فجعل يسأل كل واحد من أصحابه عن مقدار حفظه قائلاً : « ما معك من القرآن » ؟ فيقول الواحد منهم : معى آية كذا أو سورة كذا حتى قال أحدهم : معى سورة البقرة ، قال : « اذهب فأنت أميرهم »[1] .

وذلك لاحتواء هذه السورة الطويلة على كل ما يلزم للقائد من شئون الحرب والسياسة والقيادة والعدل والرحمة وشئون الدنيا والآخرة .

* * *

كيفية الحفظ

اقرأ آية واحدة أو آيات قليلة على شخص حافظ ، ثم انقلها نسخاً فى ورقة خارجية أو فى لوح من الألواح – ثم كررها لنفسك واقرأها غيباً حتى ترى أنها ثبتت فى ذهنك ، واطلب من أستاذك أو زميل لك أن يستمعها لك من المصحف . فربما تكون قد أخطأت فيها خطأ .

---

(١) فى إسناده نظر .

ثم اجعلها من تلاوتك فى الصلاة بعد ذلك حتى ترى أنها قد ثبتت عندك ، وخذ بعدها مجموعة أخرى واربطها بها - وهكذا ..

ومن عجيب بركات القرآن ، أنك حين تشرع فى الحفظ سوف تكتشف أنك تحفظ آيات كثيرة ما كنت تظن أنك تحفظها كلها - فتشعر بسرور بالغ وانشراح عظيم يشجعك على السير قُدُماً فى طريق الحفظ إن شاء الله .

* * *

أقسام القرآن

١ - العقيدة .
٢ - الشريعة .
٣ - التاريخ وتصحيح أخطائه .
٤ - القصص والمعجزات .
٥ - الآداب والأخلاق .
٦ - شخصية النبى ﷺ .
٧ - الدعوة والحوار .

أقسام القرآن

وهذا الكتاب الكريم – باعتباره آخر الكتب السماوية ، جاء شاملاً لعلوم الدنيا والآخرة .

جامعاً لأبواب لا حصر لها مما ينفع الناس فى حاضرهم وينير لهم طرائق مستقبلهم .

أحياناً بالإيجاز البليغ ، وحيناً بالإشارة والتلميح ، وتارة بالتفصيل ، وطوراً بالإجمال .

وكان فى مقدمة ما عنى به – تصحيح عقائد العباد وربط مفاهيمها بما سبق أن علّمه للبشر على أيدى الأنبياء السابقين لتكون الرسالة واحدة من أول الكون إلى منتهاه .

ثم أنزل شريعة واضحة متكاملة تتضمن العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج ومعاملات وجهاد . وفيها الآداب الاجتماعية والأخلاق الفردية .

ثم تصحيح ما تناوله التحريف من المفاهيم الأساسية للحياة والموت ، وكذلك تضمن التنزيل المبارك طائفة أخرى من الأغراض والمعانى .

وقد قام عالم فرنسى اسمه « جول لابوم » بوضع فهرس لأغراض القرآن الكريم فأحصى منها ثمانية عشر باباً تنقسم إلى ٤٥١ فصلاً – ولكن فاته الشيء الكثير ، فقام مستشرق آخر اسمه « إدوار مونتييه » بوضع ملحق أسماه « المستدرك » تضمن ١٥٨ باباً آخر ، ومع ذلك فقد غاب الكثير من المقاصد عن فهم هؤلاء الدارسين ، لأنهم من غير المسلمين والعرب – فالمسلم العربى أحسن إدراكاً للقرآن على كل حال .

وفيما يلى بعض الأمثلة للأغراض الإجمالية للقرآن الكريم :

١ - العقيدة

والمقصود بالعقيدة هو ما يجب على كل مكلّف أن يحيط به علماً وأن يُصَدِّقه تصديقاً يبلغ أن يصبح اعتقاداً راسخاً فى نفسه ، تصدر عنه كل تصرفاته ، حتى يلقى الله تعالى .

ومن الآيات المتصلة بهذا المعنى قوله سبحانه وتعالى :

١ - ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (١) .

٢ - ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٢) .

٣ - ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ، أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (٣) .

٤ - ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (٤) .

٥ - ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

٦ - ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٦) .

* * *

---

(١) سورة الإخلاص — (٢) النمل : ٧٤ - ٧٦ — (٣) النساء : ١٧ - ١٨
(٤) محمد : ١٩ — (٥) الصافات : ٩٦ — (٦) الأنبياء : ١ - ٢

٢ – الشريعة

١ – ﴿ للرِّجَال نَصيبٌ ممَّا تَرَكَ الوالدَان والأقْرَبُونَ وللنِّسَاءِ نَصيبٌ ممَّا تَرَكَ الوالدَانِ والأقْرَبُونَ ممَّا قَلَّ منْهُ أوْ كَثُرَ ، نَصيباً مَفْرُوضاً ﴾ (١) .

٢ – ﴿ شَرَعَ لَكُمْ منَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ به نُوحاً والَّذِى أوْحَيْنَا إلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا به إبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ، أنْ أقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فيه ﴾ (٢) .

٣ – ﴿ وَآتُوا اليَتَامَىٰ أمْوَالَهُمْ ، وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ ، وَلاَ تَأكُلُوا أمْوَالَهُمْ إلَى أمْوَالِكُمْ ، إنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً ﴾ (٣) .

٤ – ﴿ وَآتِ ذَا القُرْبَىٰ حَقَّهُ والمسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾ (٤) .

٥ – ﴿ يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلَىٰ أجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ، وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بالعَدْلِ ﴾ (٥) .

٦ – ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وَبالوَالِدَيْنِ إحْسَاناً ، إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُمَا أوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾ (٦) .

* * *

٣ – التاريخ وتصحيحه

١ – ﴿ واذْكُرْ فِى الكِتَابِ مَرْيَمَ إذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأرْسَلْنَا إلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ (٧) .

---

(١) النساء : ٧ — (٢) الشورى : ١٣ — (٣) النساء : ٢

(٤) الإسراء : ٢٦ – ٢٧ — (٥) البقرة : ٢٨٢ — (٦) الإسراء : ٢٣

(٧) مريم : ١٦ – ١٧

٢ - ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (١) .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (٢)

٣ - ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ، ثُمَّ اتَّخَذُواْ العِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ ، وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَاناً مُّبِيناً ﴾ (٣) .

٤ - ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (٤).

٥ - ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ ، قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥).

٦ - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ ، فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٦).

٧ - ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ، جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُواْ مِنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُواْ ، وَهَلْ نُجَازِى إِلاَّ الكَفُورَ ﴾ (٧) .

* * *

(١) التين : ٤ — (٢) المؤمنون : ١٣ — (٣) النساء : ١٥٣
(٤) البروج : ١٧ - ٢٢ — (٥) البقرة : ١٤٠ — (٦) الحديد : ٢٦
(٧) سبأ : ١٥ - ١٧

٤ - القصص والمعجزات

١ - ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ، وَكُلاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ، وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ، وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١) .

٢ - ﴿ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ، ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى ، إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٢) .

٣ - ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً ، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ * ءَالآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ، وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (٣) .

٤ - ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ، وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِى القُرْآنِ ، وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً ﴾ (٤) .

٥ - ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ ﴾ ... الآية (٥) .

٦ - ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ ، كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٦) .

* * *

(١) الأنبياء : ٧٨ - ٧٩ — (٢) يوسف : ٣٧ — (٣) يونس : ٩٠ - ٩٢

(٤) الإسراء : ٦٠ — (٥) البقرة : ٢٥٣ — (٦) الأنعام : ٨٥

٥ - الآداب والأخلاق

١ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (١) .

٢ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

٣ - ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (٣) .

٤ - ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ (٤).

٥ - ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً ﴾ (٥) .

٦ - ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٦) .

٧ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ، أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٧) .

٨ - ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٨) .

٩ - سورة الحجرات - كلها .

* * *

---

(١) النساء : ١٣٥ — (٢) المائدة : ١٠٥ — (٣) الرعد : ١١

(٤) الطلاق : ٧ — (٥) النساء : ١٣٨- ١٣٩ — (٦) السجدة : ١٥

(٧) المائدة : ١ — (٨) الأنعام : ١٥٢

٦ – شخصية النبى ﷺ

١ – ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (١) .

٢ – ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (٢) .

٣ – ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٣) .

٤ – ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ (٤) .

٥ – ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ، فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً ﴾ (٥) .

٦ – ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ (٦) .

٧ – ﴿ وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (٧) .

٨ – ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ (٨) .

* * *

(١) التوبة : ١٢٨ – ١٢٩ (٢) الأحزاب : ٢١ (٣) الحجرات : ١٥
(٤) الفرقان : ١ (٥) الفرقان : ٤ (٦) سورة الشرح كلها
(٧) الضحى : ١ – ٥ (٨) عبس : ١ – ٤

٧ - الدعوة والحوار

١ - ﴿ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ، قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

٢ - ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلاَ نَصْرَانِياً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢) .

٣ - ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ قَبْلُ ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ، أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣) .

٤ - ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤) .

٥ - ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ، أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

* * *

(١) آل عمران : ١٨٣ — (٢) آل عمران : ٦٤ - ٦٧ — (٣) التوبة : ٣٠.
(٤) البقرة : ١٣٣ — (٥) يوسف : ٣٩ - ٤٠.

الفصل الثالث

التفسير والتأويل

١ - علم التفسير ومناهجه .
٢ - التحريف والتأويل .
٣ - الإسرائيليات .
٤ - استنباط الأحكام وأهمية الحديث .

تفسير القرآن الكريم

عندما كان القرآن يتنزل على رسول الله ﷺ بواسطة الوحى الإلهى - كان العرب يفهمون مباشرة ، نظراً لفصاحتهم وأنه نزل بلسانهم ، وكانوا إذا اشتبه عليهم شيء يسألون عنه الرسول فيجيبهم بما يعلم ، أو يتريث حتى ينزل الوحى ببيان المقصود ، ولكنهم لم يكونوا يسألون إلا عما يلزمهم فقط - لسبب أن رسول الله نهاهم عن كثرة السؤال والاختلاف على القرآن كما وقع الاختلاف على الكتب السماوية السابقة - قال تعالى : ﴿ فَمَا اخْتَلَفُواْ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيَاً بَيْنَهُمْ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢) .

ولهذا بقى مقدار من القرآن الكريم لم يُعرف تفسيره فى العصر الأول ، وعندما انتشر الإسلام فى بلاد غير عربية دعت الحاجة إلى تفسير القرآن وتوضيح أسراره لغير العرب بل وللعرب أنفسهم .

وقد ورثنا من الأقدمين كثيراً من كتب التفاسير ، منها ما هو مطوّل يقع فى ٣٠ مجلداً أو يزيد ، ومنها المختصر الذى يمكنك أن تضعه فى جيبك .

كما أن منها ما يهتم بالفقه والأحكام . ومنها ما يهتم باللُّغة والقواعد ، ومنها ما يهتم بالسيَّر والتواريخ وأسباب النزول .

ومع ما فى تلك التفاسير من حشو واستطراد وآراء شخصية ومعلومات غير دقيقة من العلوم التى كانت تسود فى تلك الأزمنة ، فإنها فى الجملة كبيرة القيمة ، عظيمة الأهمية فى فهم معانى القرآن .

* * *

---

(١) الجاثية : ١٧ (٢) البقرة : ١٠٨

١ - مناهج التفسير

وتختلف آراء الناس فى تفسير القرآن الكريم ، فمنهم مَن لا يعتمد على كلام القدماء (السَلَف) ويفسر لنفسه ، غير متقيد بشيء ، وهذا أمر خطير لقوله عليه الصلاة والسلام : « مَن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » .

ومن الناس مَن يقرأ كتاب الله تعالى بدون أية محاولة لفهم المعنى - اكتفاءً بما يرجو من الثواب - وهذا أيضاً غير صواب ، لأن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (١) ، وعاب على أقوام لا يتدبرونه ولا يلتفتون لمعرفة أسراره ومعانيه بجهودهم فقال تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً ﴾ (٤) .

والمنهج الذى نراه صحيحاً فى فهم الكتاب العزيز هو الآتى :

أولاً : أن تفهم معانى المفردات اللُّغوية التى تصعب عليك . (وتوجد مختصرات كثيرة فى معانى كلمات القرآن ومفرداته فقط) .

ثانياً : أن تقرأ تفسيراً - موثوقاً به - أو أكثر من تفسير واحد لتتعرف بوجه عام هذا العلم وما يتصل به من علوم كأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والكناية والمجاز والتشبيهات ونحوها من علوم البلاغة العربية والبيان . (مع ملاحظة عدم الاستسلام لما ورد فى التفاسير من الغرائب والإسرائيليات) .

---

(١) القمر : ١٧
(٢) محمد : ٢٤
(٣) النساء : ٨٢
(٤) الفرقان : ٧٣

ثالثاً : أن تفتح قلبك لفهم القرآن وتدبره فى حدود معانى اللُّغة العربية دون تأويل ولا تعطيل [1] ، فالقلب المؤمن هو خير مُفَسِّر للقرآن الكريم .

وليكن معلوماً أن هذا الكتاب معجز بألفاظه ومعانيه فهو يحتمل المعانى الكثيرة ولا يزال بكراً إلى يوم القيامة لا تنقضى عجائبه ولا تُحصر معانيه .

أما الذى لا يجوز للمسلم فعله - فهو أن يتعرض للتأليف أو للإفتاء فيما لا يعلم على وجه اليقين ، خصوصاً فى هذا العلم ، لأن الأمر خطير جداً . وكان كثير من الصحابة ومنهم أبو بكر رضى الله عنه يمتنع عن كثير من أمور التفسير ويقول : « أىُّ سماء تظلنى وأىُّ أرض تقلنى إذا قلتُ فى القرآن على غير مراد الله تعالى » .

وبهذه الطريقة وفى هذه الحدود يمكن أن يجد المسلم فى الكتاب المجيد حلاوة وعلماً - وأن يجد حلاً للمشاكل ، ونوراً لكل مظلمة وهدى لكل معضلة . قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ [2] .

* * *

٢ - التحريف والتأويل

يأتى التأويل بمعنى التفسير كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [3] ويأتى التأويل بمعنى الميل بالمعنى إلى هوى معين - كما يأتى بمعنى التحريف وإلباس الباطل ثوب الحق - وهو المقصود بيانه فى هذا الموضع لتحذير المسلمين من تصديق مثل ذلك أو الوقوع فيه .

● وقد عُرِفَتْ بعض التفاسير بالميل عن التفسير الصحيح إلى مثل هذه الاتجاهات منها : تفاسير المعتزلة الذين لهم آراء معينة ومذهب معروف فى قضية « خلق القرآن » - وخلق أفعال العباد ، وحرية الإرادة ، وإنكار السحر .

---

(١) التأويل : هو تفسير الآيات بأكثر مما يُفهم منها أو صرفها عن معناها الصحيح إلى شىء آخر ، والتعطيل هو إلغاء المعنى المقصود واستبعاده مع شدة وضوحه .

(٢) النساء : ١٧٤   (٣) آل عمران : ٧

فيقول الزمخشرى عند تفسير سورة الفلق : ﴿ النَّفَّاثَات ﴾ النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقداً وينفثن فيها ولا تأثير لذلك إلا إذا كان هناك إطعام شىء ضار أو سقيه أو إشمامه - فينسبه إلى الرعاع والحشوية (يريد بهم أهل السُّنَّة والجماعة) لكن الثابتين بالقول الثابت لا يلتفتون لذلك .

وهذا الكلام فيه تعسف ومحاولة للخروج بالآيات عن معناها الواضح المستقيم .

● ومن ذلك تفاسير بعض فِرق الشيعة - فإنهم بنوا مذهبهم على نظريات معينة منها :

١ - أن القرآن له ظاهر وباطن ، وأن علم الظاهر والباطن عند أئمتهم فقط لا يمكن أن يُعرف إلا من طريقهم .

٢ - أن القرآن وارد كله أو معظمه فى أئمتهم ومواليهم وفى أعدائهم ومخالفيهم ، فهم يلوون أعناق المعانى لتتمشى مع هذه النظرية .

٣ - أن القرآن حُرِّفَ وبُدِّلَ عما كان عليه زمن النبى - وهم بذلك قد أعطوا حجة خطيرة يستشهد بها المستشرقون وأعداء الإسلام ، وهم فى سبيل ذلك تأولوا القرآن ليتفق مع آرائهم ، ولما وجدوا الأحاديث الصحيحة لا توافقهم عمدوا للطعن فى الأحاديث ورواتها من الصحابة وطعنوا عليهم ووضعوا أحاديث كثيرة تؤيد مذهبهم ، وإليك بعض نماذج من تأويلهم لمعانى القرآن :

١ - فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [1] يفسرون « بَدِّلْهُ » أى بَدِّلْ « علياً » ومعلوم أن علياً لم يسبق له ذكر، ولم يكن الكلام مسوقاً فى شأن خلافته وولايته .

٢ - وفى قول الله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾ [2] يقولون : فى هذا إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل مَن كان قبلها فى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء .

---

(١) يونس : ١٥

(٢) الانشقاق : ١٩

٣ - فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) أى حافظون له عند الأئمة .

٤ - فى قول الله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ .. ﴾ (٢) الآيات : قالوا : هو علىّ ، وفاطمة ، والحسين - ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ (٢) قالوا : هو علم أهل البيت .

● وهناك تفاسير إلحادية مثل كتاب « الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن » تقوم على إنكار معظم ما جاء به القرآن الكريم - ففيها إنكار للمعجزات جملة ، وإلغاء لبعض الأحكام الشرعية من أساسها ، وتكذيب لصريح القرآن عن طريق سوء التأويل - لكن الأزهر أفتى بضلاله ، وصودر من السوق.

ومن أمثلة ما ورد فى هذا التفسير :

١ - فى الآيات الصريحة بإقامة الحدود كقوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (٣) يقول : إن الأمر كان للإباحة لا للوجوب ، كقوله تعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (٤) وكذلك الشأن فى حد السرقة .

٢ - كان ينكر وجود الشياطين وينكر وجود الجن ويقول : إنهم قبيلة من العرب .

٣ - وكان يجيز مخالفة الرسول إن كان ذلك للمصلحة العامة ففى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٥) قال : إن المخالفة المحذورة هى التى تكون للإعراض عن أمره ، وأما التى تكون للرأى والمصلحة فلا مانع منها ، بل هى من حكمة الشورى .

---

(١) الحجر : ٩ (٢) النور : ٣٥ (٣) النور : ٢
(٤) الأعراف : ٣١ (٥) النور : ٦٣

٤ – وكان يتأول فلق البحر لموسى والعصا – وغيرها من المعجزات بطريقة الاحتيال والهروب من معانى الألفاظ ، ثم يقول فى النهاية : « وقد كانت كل آياتهم حججاً وبراهين من سيرتهم وأنهم لا يأتون بغير المعقول ، ولا بما يُبدِّل سُنَّة الله ونظامه فى الكون » .

● وهناك التفاسير الإشارية الصوفية : ومعلوم أن التصوف يتفق مع التشيع فى عدة مسائل كالغلو فى الأئمة وآل البيت – ومسائل الشفاعة والتوسل ، ومسائل الظاهر والباطن واعتزال شئون الدنيا وعدم التعاون مع السلطة أياً كانت (أى فصل الدين عن السياسة) وأمور أخرى ليس هذا مجالها .

وفى هذه التفاسير يجازف أصحابها بآراء غريبة شاذة ، وأحياناً ينسبونها إلى صحابى كابن عباس ، وأحياناً يحلّلونها على ضوء عقائدهم الباطنية تحليلاً ما .

في تفسير سهل التسترى عند الكلام على ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ قال : « الباء بهاء الله ، والسين سناء الله ، والميم مجد الله عز وجل . والله هو الاسم الأعظم الذى حوى الأسماء كلها ، وبين الألف واللام منه حرف مكنى غيب من غيب إلى غيب، وسر من سر إلى سر ، لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس) .

وعند قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ يقول : الألف : الله . واللام : جبريل ، والميم : محمد ﷺ ، وأن الله أقسم بنفسه وجبريل ومحمد عليهما السلام . وقد علّق بعض الظرفاء على هذا الكلام بقوله : « جميل جداً – لقد اقتربنا إذن من التثليث » .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسير ﴿ الٓمٓ ﴾ : الألف ألف الوحدانية ، واللام لام اللُّطف . والميم ميم المُلك : معناه مَن وجدنى على الحقيقة بإسقاط العلائق والأغراض تلطفتُ له فأخرجته من رق العبودية إلى الملأ الأعلى، وهو الاتصال بمالك المُلك .

ومعلوم أن الله تعالى بائن عن خلقه متعال عليهم لا يتصل بأحد منهم ولا يندمج فى شىء من الخلائق ، والكل عباده وأرقاؤه ، لا يخرج أحد منهم عن هذه العبودية ، ويقول ابن عطاء الله السكندرى عند الكلام على قوله تعالى :

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الأرْضُ المَيْتَةُ أحْيَيْنَاهَا وَأخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ (١) يقول : « القلوب الميتة بالغفلة أحييناها بالتيقظ ، وأخرجنا منها حباً بالمعرفة الصافية تضيء أنوارها على الظاهر والباطن » .

ويقول محيى الدين بن عربى في تفسير الفاتحة : « فإذا وقع الجدار وانهدم الصور وامتزجت الأنهار والتقى البحران وعُدِمَ البرزخ ، صار العذاب نعيماً ، وجهنم جنة ، ولا عذاب ولا عقاب إلا نعيم وأمان » - يعنى : صار موقف الآخرة فوضى وثورة عامة لصالح المجاذيب .

ومن العجيب أن يُعَلِّق الآلوسى على هذا الكلام العجيب بقوله : « هذا وأمثاله محمول على معنى صحيح يعرفه أهل الذوق ولا ينافى ما وردت به الآيات القواطع » وقد علّق التفتازانى على آراء بعض الصوفية بقوله : « والنصوص على ظواهرها ، فالعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد » .

وأحب أن أُنَبِّه إلى الفرق الكبير بين القاضى أبى بكر محمد بن العربى الفقيه الأشبيلى الأندلسى المالكى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ وهو صاحب كتاب « أحكام القرآن » ومن أفاضل علماء أهل السُنَّة ، وبين أبى بكر محيى الدين بن عربى (بدون أداة التعريف) ولد بمرسية سنة ٥٦٠ هـ وتوفى بدمشق سنة ٦٣٨ هـ وهو شيخ الصوفية فى وقته وكان يؤمن بوحدة الوجود ويدعو لها واتهمه خصومه بالكفر والزندقة لأنه دعا أيضاً إلى وحدة الأديان سواء منها السماوى والأرضى ، وقد ألّف نحو ١٥٠ كتاباً منها « الفتوحات المكية » ، واهتم به المستشرقون اهتماماً كبيراً .

* * *

ومن ذلك تفاسير الفلاسفة : وقد ظهرت فى العصر العباسى ، وقد شجع حكام ذلك العصر على ترجمة كتب الفرس واليونان إلى العربية فرفضها غالب المسلمين وأعجب بها بعضهم - وقد حاول هؤلاء إخضاع النصوص القرآنية إلى موافقة النظريات الفلسفية .

---

(١) يس : ٣٣

ففى كتاب « فصوص الحكم » للفارابى يقول عند قوله تعالى : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ ﴾ [1] : « هو المعشوق الأول وهو آخر كل غاية ، أول فى الفكرة ، وآخر فى الحصول – وهو آخر من جهة أن كل زمان يتأخر عنه ولا يوجد زمان متأخر عن الحق » .

ويشرح « الظاهر والباطن » فيقول : « لا وجود أكمل من وجوده ، فلا خفاء به من نقص الوجود ، فهو فى ذاته ظاهر ، ولشدة ظهوره باطن ، وبه يظهر كل ظاهر ، كالشمس تظهر كل خفى ، وتستبطن لا عن خفاء » [2] .

والواقع أنه فى هذا كله يريد أن يؤكد نظرية « أفلوطين اليونانى » فى القول بأن العالَم قديم وليس بحادث .

ويفسر « إخوان الصفا » [3] الملائكة بأنهم كواكب الأفلاك .

وقوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [4] يعنى أرواح بنى آدم فهى تصعد إلى ملكوت السماء بعد مفارقة الجسد ، وتعيش هناك مغتبطة متلذذة ، وتدخل فوراً فى زمرة الملائكة .

ويفسرون كل شىء تفسيراً باطنياً ، فالشياطين عندهم ليست إلا النفوس الشريرة ، ويقولون : إن الجنة هى جنة الدنيا ونعيمها فقط .

أما ابن سينا فهو يرى أن القرآن ما هو إلا رموز تدق عن أفهام العامة ويقـول : « إن المشترط على النبى أن يكون كلامه رمزاً وألفاظه إيماء ، وكما يذكر أفلاطون فى كتاب النواميس : إن مَن لم يقف على معانى رموز الرسل لم ينل ملكوت السموات » .

---

(١) الحديد : ٣

(٢) هذا كلام حاصله تلاعب بالألفاظ يجعل الرأس يدور .

(٣) إخوان الصفا هم من الدروز الباطنية .

(٤) فاطر : ١٠ .

ويُفَسِّر الجنة والنار والصراط تفسيراً فلسفياً بعيداً عن المأثور فهو يُقَسِّم العوالِم إلى : عالَم حسى ، وعالَم خيالى ، وعالَم عقلى ، والعالَم العقلى هو الجنة ، والخيالى هو النار ، والحسى هو عالَم القبور .

وواضح فى كل هذا الخلط أنه قيَّد نفسه بفلسفة أفلاطون (١) .

* * *

بقى أن نذكر التفاسير الفقهية - وأمرها يسير ، لأنها ترتبط ببيان أحكام الشريعة ، إنما يميل كل مفسر لما يؤيد وجهة نظره فى الفقه - ومعلوم أن الفقهاء متفقون فى أصول الدين ، ولم يقع الاختلاف إلا فى الفروع . ولن نخوض فيها حرصاً على الإيجاز .

* * *

هذه فكرة موجزة عن التفسير واتجاهاته نقلنا الكثير منها عن كتاب « التفسير والمفسرون » للشيخ محمد حسين الذهبي وغيره من الكتب الجيدة .

ونود أن ننبه القارىء الكريم إلى مزالق المفسرين الذين يمكن للمسلم المستنير أن يراهم اليوم وغداً يحاولون استغلال ثراء اللُّغة العربية وضعف إدراك جماعة من الناس ، فيميلون بمعانى القرآن إلى ما يؤيد نزعاتهم التى يعيشون بها .. وصدق الله إذ يقول : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٢) .

* * *

(١) لا يخفى أن هذه النظريات المنحرفة سواء فى الفلسفة أو التصوف أو الباطنية لها أتباع من الكتّاب المعاصرين ينفثونها بين الناس من حين لآخر .

(٢) آل عمران : ٧

٣ - الإسرائيليات

وأما الإسرائيليات فهى الحكايات التى أوردها بعض المفسرين تعليقاً على بعض الآيات ، ولكنها لا تستند إلى أصل معتبر وفى نفس الوقت تتصل بنسب إلى بعض ما ورد فى كتب اليهود أو إلى آرائهم الخاصة وثقافتهم المتداولة عبر القرون .

وقد استند بعضهم إلى حديث منسوب للنبى ﷺ يقول : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل ، وحدّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » - لكن هذه الإسرائيليات التى نقرؤها من خلال كتب التفسير صارت غير مقبولة مع تقدم المعرفة ، وغير لائقة بأن يتداولها القرّاء والعلماء لما تنطوى عليه من خرافة لا يقبلها العقل ، أو من اتهام للأنبياء والصدّيقين بما لا يصح أن يوجّه إليهم ، ومن ذلك ما أورده الزمخشرى فى تفسيره « الكشاف » لسورة (ص) عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (١) يقول : « كان أهل زمان داوود يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها ، واتفق أن عين سيدنا داود وقعت على امرأة رجل يقال له « أوريا » فأحبها فسأله أن ينزل له عنها فاستحيا منه الرجل ونزل عنها فتزوجها داوود بالإضافة إلى نسائه التسعة والتسعين وهى أم سليمان » .

والصحيح غير ذلك فالنعجة المقصودة فى القرآن كانت نعجة ، وليست امرأة .

ومن ذلك ما رواه بعض المفسرين فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ (٢) يقول : « فُتِنَ سليمان بعد ما مَلَكَ عشرين سنة وكانت فتنته أن وُلِدَ له ابن فقالت الشياطين : إن عاش لم ننفك من السُخْرة فسبيلنا أن نقلته أو نخبله - فعلم سليمان فكان يطعمه (يغذوه) فى السحاب . فما راعه إلا أن أُلقِىَ على كرسيه ميتاً .

---

(١) سورة ص : ٢٣ (٢) سورة ص : ٣٤

وكذلك ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وأنه جعل لامرأته تمثالاً لأبيها فى قصره حتى لا تحزن .

وهذا كله لا يتفق مع رِفعة الأنبياء عليهم صلوات الله أجمعين . وعفتهم وأمانتهم .

وقد تنبه بعض المفسرين إلى خطر هذه الإسرائيليات ، فكان يوردها ثم يُعلِّق بقوله : « وهذا من الإسرائيليات » . أو بقوله : « وهذا لا يصح » ومن هؤلاء ابن كثير الدمشقى ، وابن جرير الطبرى ، وغيرهم .

جاء فى ص ٤١٩ من تفسير ابن كثير (طبعة دار الأندلس ببيروت) الجزء الرابع : قال ابن لهيعة : حدثنى سالم بن غيلان عن سعيد بن أبى هلال أن معاوية بن أبى سفيان قال لكعب الأحبار : « أنت تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا » ؟ فقال له كعب : إن كنت قلت ذلك فإن الله قال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ﴾ (١) ، والذى أنكره معاوية على كعب هو الصواب ، فقد كان معاوية يقول عن كعب : « إن كنا لنبلو عليه الكذب ، لا أنه يتعمد نقل ما ليس فى صحفه ، ولكن الشأن فى صحفه أنها من الإسرائيليات التى غالبها مبدَّل محرَّف مختلق ، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسوله إلى شىء منها بالكلية ، فإنه دخل على الناس منها شر كثير وفساد عريض » .

ومعلوم أن كعب الأحبار كان من علماء بنى إسرائيل ثم أسلم .

* * *

٤ - استنباط الأحكام

القرآن الكريم هو مصدر جميع الأحكام عند المسلمين - وتفسره السُنَّة المطهرة أو تُفَصِّل ما أجمله - وتوجد الأحكام الشرعية فى شروح القرآن وشروح كتب الحديث - وقد وُضِعَتْ كتب خاصة باسم « أحكام القرآن » كما وُجِدَتْ كتب

(١) الكهف : ٨٤

الفقه المعتمدة وهى استخلاص واستنباط للأحكام من كل ما تقدم بعد تحقيق ومقارنات شتّى ، يدخل فيها علم السيرة ، وعلم الرواية والدراية ، وأحوال الصحابة ، والقياس وغيره .

وسنورد فيما يلى بعض النماذج لاستنباط الأحكام :

فى الجزء الأول من « أحكام القرآن » لأبى بكر محمد بن العربى (من ص ٨٩-٩٦) عند قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ - إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١) قال : فيها تسع عشرة مسألة : الأولى : فى سبب نزولها ، الثانية : فى الرَّفَثْ ، الثالثة : فى قوله : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ ، الرابعة : فى قوله : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ ، الخامسة فى قوله : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، السادسة : فى قوله : ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ ، السابعة : فى قوله : ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

وفيه ثلاثة أقوال : الأول : ما كتب الله لكم من الحلال .

الثانى : ما كتب الله لكم من الولد والذُّرية .

الثالث : ليلة القدر .

فالقول الأول : عام - يشهد له حديث قيس .

والقول الثانى : يشهد له حديث عمر بن الخطاب .

والثالث : عام - فى الثواب والأجر .

المسألة الثامنة : قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ ... وهكذا يمضى يسرد الأحكام .

وفى (ص ٣٠٩ - ٣١٤) من نفس الكتاب فى تفسير آية واحدة ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ

(١) البقرة : ١٨٧

النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (١) . فيها اثنتا عشرة مسألة .

وقد أورد ابن العربى هذه المسائل بأسانيدها من قول النبى ﷺ وفعل الصحابة وتفسير القرآن بالقرآن ومن الشواهد العملية فى الصدر الأول ، مما يطول تفصيله – وأحياناً تتفرع به المسألة الواحدة إلى عدة وجوه أو أقوال ، فمثلاً فى المسألة الثانية عشرة فى قوله : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ قال : اختلف الناس فى تأويله على ثلاثة أقوال :

الأول – ألا يكثر عيالكم – قاله الشافعى – وهذا يدل على أن نفقة المرأة على الزوج .

الثانى – ألا تضلوا – قاله مجاهد .

الثالث – ألا تميلوا – قاله ابن عباس وغيره .

وقد قال علماؤنا : فيه سبعة معان .. ثم أورد المعانى السبعة مُفصَّلة فى عدة صفحات – شرحاً للفقرة الثانية عشرة من آية واحدة من كتاب الله تعالى .

والذى نريده هو بيان أهمية ما تنطوى عليه آيات الكتاب الكريم من كنوز وثروة علمية لا نهاية لها – وهى كفيلة بتحقيق السعادة الدنيوية لما يختلف فيه الناس جميعاً – فضلاً عن ثواب الآخرة .

ولكن جهوداً عالمية جبارة بُذلت للحيلولة بين المسلمين وبين الانتفاع بهذه الكنوز ، ذلك لأنهم : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) .

ويكاد علم التفسير بالمأثور أن يكون فرعاً من فروع علم الحديث الشريف – ذلك لأن المفسر يُقَيِّد نفسه بما ورد بسند صحيح عن رسول الله ﷺ – وهو أعلم الناس بما أُنْزِلَ إليه – وأنه عليه الصلاة والسلام كان يتوقف عما يُسْئَل فيه من

(١) النساء : ٣ (٢) الصف : ٨

معانى الكتاب العزيز حتى ينزل عليه جبريل - أمين الوحى - مُعَلِّماً ومُبَلِّغاً عن الله عز وجل .

فأنت تقرأ مثلاً - فى تفسير ابن كثير عند الكلام على قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ (١) :

« قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل ، حدثنا سهل بن حماد أبو غياث ، حدثنا جرير بن أيوب عن أبى إسحاق عن عمرو ابن ميمون عن عبد الله عن النبى ﷺ فى قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ ﴾ قال : « أرض بيضاء لم يُسفك عليها دم ولم تُعمل عليها خطيئة » ثم قال - أى ابن جرير الطبرى راوى الحديث - : لا نعلم مَن رفعه إلا جرير بن أيوب وليس بالقوى ، أى أن هذه الرواية كلها ليست مؤكدة بالنظر إلى أنه لم يذكرها أحد من الرواة إلا جرير بن أيوب » .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ (٢) أورد المفسر قول الحافظ أبى بكر البزار قال : حدثنا عبد الرحمن بن المتوكل ويعقوب ابن إبراهيم - واللفظ له - قالا : حدثنا أبو نميلة ، حدثنا الزبير بن جنادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما كان ليلة أُسْرِىَ بى - قال - : فأتى جبريل الصخرة التى ببيت المقدس - قال - : فوضع إصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق » ثم قال البزار : لا نعلم أحداً رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة ، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة ، وقد رواه الترمذى وقال : غريب ، أى لا نصدقه لغرابته ، والغريب فى علم الحديث : ما رواه راوٍ واحد منفرداً - أو انفرد شخص واحد بزيادة أُضيفت إلى متنه أو إسناده .

مثال آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى عن صالح عن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة : سمعت جابر بن عبد الله يُحَدِّث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لما كذَّبتنى قريش حين أُسْرِىَ بى إلى بيت المقدس ، قمت فى

(١) إبراهيم : ٤٨ (٢) الإسراء : ١

الحِجْرِ فجلّى الله لى بيت المقدس فطفقتُ أخبرهم عن آياته (أى علاماته) وأنا أنظر إليه » أخرجاه (أى البخارى ومسلم) فى الصحيحين من عدة طرق عن الزهرى - أى أنه صحيح .

نعرف من ذلك أهمية الحديث الشريف الصحيح فى فهم الآيات الكريمة ، والظروف التى نزلت فيها ، ومن ثَمَّ ندرك معاناها - وهذا لا يمنع من أن نفتح قلوبنا لفهم ما لم يرد فيه بيان من تفسير باقى الآيات (كما قدمنا فى الكلام على مناهج التفسير) .

ولكن الذى ينكره كل مسلم عاقل هو إهمال التخصص فى مثل هذا الأمر العظيم (وهو بيان مراد الله تعالى من كلامه العزيز) .

فيقدم أديب أو طبيب أو مهندس على إخراج تفسير من تصوراته الشخصية دون أن يكون له عهد بعلوم الدين التى تؤهل لمثل هذا العمل الخطير والتى تستنفد فيها أعمار العلماء العاملين المختصين .

* * *

الفصل الرابع

إعجاز القرآن

١ - الصحة .
٢ - الإعجاز اللُّغوى والإخبار بالغيب .
٣ - الإخبار بالغيب .
٤ - الإحاطة والدقة والصلاحية .
٥ - أثر القرآن فى العالَم .
٦ - الحقائق العلمية .
٧ - فضله ووجوب العناية به .

١ - الصحة

لا يجادل مؤمن بالإسلام ولا غير مؤمن به - من المحققين - في أن القرآن الكريم هو أصح الكتب السماوية الإلهية الموجودة فى الأرض الآن .. وقد تواترت القرائن على ذلك بصور شتّى :

منها - المصاحف القديمة الموجودة حالياً وبعضها يرجع إلى القرن الأول ثم تتابعها عبر القرون - وبأيدى كتّاب وناسخين متعددين من شتّى الألوان والجنسيات فلم يختلف منها سطر ولا جملة ولا حرف - كلها بنفس الضبط والدقة والألفاظ .

ومن ذلك - حفظ الحفّاظ فى الصدور - فبالرغم من اتساع رُقعة الإسلام وانتشاره فى كافة أرجاء الأرض من أقصى الصين إلى أوروبا وإفريقيا والأمريكتين عرضاً ، ومن القطب الشمالى إلى القطب الجنوبى طولاً - فلا تكاد تلمس فى تلاوة أحد من هذه الملايين ما يختلف عن تلاوة أخيه فى شىء يغير المعنى أو يميل به - وبعضهم يحفظ القرآن عبادة ولا يفهم له معنى ، لكنه يعتز به ويغار عليه ولا يمكنك أن تقنعه بتغيير شىء منه .

ومن ذلك - الاستقراء التاريخى - ودراسة ما كُتِبَ من آياته وما كُتِبَ عنه لدى غير المسلمين الذين عاصروا دولة الإسلام فى القديم والحديث - وكذلك النقوش الباقية على تطاول الزمن .

كل ذلك يشهد للقرآن بالصحة والسلامة من التحريف - وصدق الله إذ يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

ولا يؤثر فى تلك الحقائق الواضحة ما يثيره المستشرقون وأعداء الإسلام من شبهات تتصل أحياناً بعلم القراءات وأحياناً بتاريخ التدوين فهى من الغبار الذى لا يخفى ضوء الشمس .

* * *

(١) الحجر : ٩

٢ - الإعجاز اللُّغوى

لقد كان القرآن مُعْجزاً بألفاظه ومعانيه . فقد جاء رجل إلى النبى ﷺ واستمع إلى تلاوته فى قول اللّه تعالى : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوٰاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (١) فخرّ ساجداً (وكان مشركاً) . وقال : « واللّه ما يقول هذا بشر » .

وقد حدث عندما كان رسول اللّه ﷺ يتلو من سورة النجم قوله تعالى : ﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ (٢) فسجد المشركون عن غير وعى لما بهرهم من بلاغة القرآن وإعجازه .

حكى الأصمعى أنه سمع كلام جارية . فقال لها : قاتلك اللّه ما أفصحك !! فقالت : أو فصاحة بعد قول اللّه تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ، فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي ، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ ﴾ (٣) .

قالت : فجمع اللّه فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وبشارتين وخبرين ، كل هذا معنى قوله ﷺ : « ما من نبى من الأنبياء إلا وأُوتِىَ من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أُوتيته وحياً أُوحِىَ إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » . وهو بهذا يشير إلى أن المعجزة متى كانت هى نفس الوحى فى الموضوع وقوة الدلالة كان المصَدِّقون لها أكثر على مر العصور .

وقد أُلِّفَتْ عشرات الكتب فى إعجاز القرآن للباقلانى وعبد القاهر الجرجانى ومصطفى صادق الرافعى وغيرهم ، فليرجع إليها مَن شاء .

* * *

---

(١) الزمر : ٦٧ (٢) النجم : ٥٧ - ٦٢ (٣) القصص : ٧

٣ – الإخبار بالغيب

ولقد أخبر القرآن الكريم بطائفة كبيرة من المغيَّبات ثم وقعت بعد زمان الإخبار بها على الوجه الذى حدَّده القرآن الكريم . من ذلك قوله تعالى :

١ – ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ ، لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمنينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ (١) .

كان نزول هذه الآية قبل صلح الحديبية على رؤيا رآها النبى ﷺ وأخبر أصحابه بها – ولما هَمَّ رسول الله بعقد الصلح ، غضب بعض المسلمين وقالوا : يا رسول الله ؛ ألم تخبرنا أننا سندخل مكة آمنين ؟ قال : نعم .. ولكنى لم أقل متى يكون ذلك ، ولا أعلمه . ثم كان غزوة الفتح وتحقيق الآية بعد ذلك بقليل .

٢ – وفى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ آلم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّه الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) فقد نزلت هذه الآيات حين غَلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام ومَن والاها من أرض الروم . وحاصر هرقل فى القسطنطينية ، وكان المشركون يحبون انتصار فارس لأنهم أصحاب أوثان مثلهم . وكان المسلمون يحبون انتصار الروم لأنهم أهل كتاب .

فذكر أبو بكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « أما إنهم سيغلبون » فذكره أبو بكر لمشركى قريش فقالوا : اجعل لنا أجلاً فإن انتصر إخواننا (يعنى الفرس) فلنا كذا ، وإن انتصر الروم كان لكم كذا ، فأجَّلَ أبو بكر لهم خمس سنين فقال له الرسول ﷺ : « ألا جعلتها إلى دون العشر » ؟ . فانتصر الروم على الفرس بعد سبع سنين أى بعد غزوة بدر بقليل .

(١) الفتح : ٢٧ (٢) الروم : ١ – ٥

٣ - وعن أُبَىّ بن كعب قال : لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة آوتهم الأنصار ورمتهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه . فقالوا : أتظنون أنّا نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل ، فنزل قول الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

ومعلوم أن الله تعالى استخلف المؤمنين فى الأرض وأغناهم وأمّنهم حتى أقاموا دولة الإسلام .

وهناك مئات الأمثلة من الآيات على المعجزات القرآنية فليرجع إليها مَن شاء .

* * *

٤ - الإحاطة والدقة والصلاحية

قال الله تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ (٢) والواقع أن القرآن الكريم جاء شاملاً للمسائل الرئيسية الضرورية فى حياة البشر جميعاً - ما فَرَّطَ فى شىء منها ولا تُرِكَ للعقول والاجتهادات الآدمية إلا أن تقول فى الفروع والأشياء التى تناسب زمناً معيناً أو مكاناً معيناً ، فالدين الإسلامى إذن ثابت فى أصوله متطوّر فى فروعه ، ومعنى هذا أنه لا يحق لأحد أن يعدل ما جاء به نص صريح من الكتاب أو السُّنّة المطهرة .

وأثبتت التجارب التى تمت عبر مئات السنين أنه لم يتأت للإنسانية عهود عدل وثراء وطمأنينة كتلك التى كانت لها يوم سيادة أحكام الإسلام .

---

(١) النور : ٥٥ (٢) الأنعام : ٣٨

قالوا : إن عامل عمر بن عبد العزيز كتب إليه : إنى لم أجد فى المسلمين مَن يستحق الزكاة – أغناهم الله – فماذا أفعل ؟ فقال له : « فرِّقها فى أهل الذِّمة » .. أى من غير المسلمين .

وليس المال وحده هو مقياس سعادة الأمم ، كلا ، ولكنه الأمن والرضا والصحة والسعادة والنمو الحضارى – كل ذلك قد كان متلازماً مع سيادة التشريع الإسلامى والدولة الإسلامية .

والعكس صحيح – فما ترى أمة من أمم الإسلام أصيبت بالتدهور والانتكاس إلا عندما رفضت هدى الله أو جعلته وراء ظهرها .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (٣) .

* * *

(١) الأعراف : ٩٦ (٢) الأعراف : ١٥٧ (٣) الأعراف : ١٨١

٥ - أثر القرآن فى العالَم

هذا الكتاب المبين هو معجزة الإسلام الكبرى .. تركيبه عجيب .. ومعانيه دقيقة وأخباره صادقة .. أخبر عن الماضى البعيد فلم يعارضه شىء ، وأخبر عن الحاضر فى وقته فكان خير نظام وخير أدب وخير تشريع للدولة .. وأخبر عن المستقبل والغيب ، فتحقق ما قاله بعد نزوله بمئات السنين ، وطابق أحدث المخترعات الجديدة ، ولا زالت فيه أعاجيب لم يصل إليها العلم الحديث ، والذين آمنوا بدين الإسلام تأثروا بالقرآن حيث إنه دستور حياتهم ، فأصبحت تعاليمه سارية على نصف سكان الأرض لمدة قرون طويلة هم وأولادهم ومَن جاء بعدهم ، فهو الذى كوَّن لنا العادات التى نسير عليها ، وهو الذى حفظ اللُّغة العربية من الضياع ، وبقيت مفهومة فى جزء كبير من العالَم ، فلم تذهب معالمها بمرور الزمن كما تشعبت اللُّغات الأخرى (كاللاتينية مثلاً فى أوروبا إذ صارت لغات كثيرة لا يفهم بعضها بعضاً) وهو الذى رسم خطوط الحضارة للعرب ، ثم نقلتها عنهم الأمم الأُخرى .. فهو بحق أستاذ البشر جميعاً . المؤمن به منهم وغير المؤمن به .

ومع أن المدنية الحديثة لم تعد تخضع للدين ، إلا أن أثر القرآن لا يزال هو أقوى شىء فى أمن الناس ومعاملاتهم ، كما أنه كان كثير الأثر فى تكوين تلك المدنية ولولاه لتغيَّرَ وجه الدنيا وسائر شئون حياة الناس سواء فى بلاد الإسلام أم فى غيرها من البلاد .

* * *

٦ - الحقائق العلمية

١ - فى قول الله عز وجل: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ ﴾ (١) إن الإخبار بأن الصعود فى السماء يسبب ضيق الصدر لانقطاع

(١) الأنعام : ١٢٥

الهواء فى طبقات الجو العليا أمر لم يكن العرب يعرفونه ولا يعرفه أحد من البشر فى زمن تنزيل القرآن ولم يُكْتَشف إلا فى هذه العصور الأخيرة بعد اختراع الطيران العالى .

٢ - قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [١] . هذا التحديد للماء البشرى ومكان تخلقه أمر لم يكن أحد يعلمه عند نزول القرآن وإنما عُرِفَ مؤخراً .

٣ - قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [٢] لم يتوصل الناس إلى أن الذرّة هى أصغر شىء فى الوجود إلا فى هذه العصور أيضاً . ثم الاهتداء إلى أن هناك ما هو أصغر من الذرّة - وهى أجزاؤها النزرة وما يدور فى مداراتها .

٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ ﴾ [٣] . والحُبُك هى المسارات والمدارات التى تدور فيها الكواكب - لم يكن أحد ليحيط علماً بذلك قبل اختراع المناظير الألكترونية البعيدة المدى .

والأمثلة على هذا أكثر من أن تُحْصَى .

* * *

٧ - فضله ووجوب العناية به

عن عثمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خيركم مَن تعلّم القرآن وعلّمه » (رواه البخارى) ، وفى رواية : « إن أفضلكم مَن تعلّم القرآن وعلّمه » .

وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : « تعلّموا القرآن فاقرأوه فإن مثل القرآن لمن تعلّمه فقرأه وقام به - أى فى الليل - كمثل جراب محشو مسكاً يفوح

---

(١) الطارق : ٥ - ٧ (٢) يونس : ٦١ (٣) الذاريات : ٧

ريحه فى كل مكان . ومثل مَن تعلمه فرقد وهو فى جوفه كمثل جراب أوكىء على مسك » (رواه الترمذى وغيره) .

وكان أبو الدرداء يُعَلِّم القرآن كل يوم فى جامع دمشق من طلوع الشمس إلى الظهر - ويُقَسِّم المتعلمين عشرة عشرة ويُعيِّن لكل عشرة عَرِّيفاً يُعَلِّمهم القرآن وهو يُشرف على الجميع ويرجعون إليه إذا غلطوا فى شىء (كما ورد فى تاريخ ابن عساكر) .

وكان ابن مسعود يجلس فى مسجد الكوفة فَيُعَلِّم الناس قراءة القرآن حتى بلغ عدد الذين أخذوا عنه من الثقات مباشرة أو بواسطة ما يقرب من أربعة آلاف .

واستعمل النبى ﷺ عمرو بن حزم على نجران ليفقههم فى الدين ويُعَلِّمهم القرآن ويأخذ منهم الصدقات (كما ورد فى الاستيعاب) .

وروى الإمام أحمد عن أبى عبد الرحمن قال : حدثنا مَن كان يُقْرِئنا من أصحاب النبى ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله عشر آيات فلا يأخذون العشر الأخرى حتى يعلموا ما فى هذه العشر من العلم والعمل - قالوا : فعلمنا العلم والعمل .

قال الحافظ السيوطى : تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام فينشأون على الفطرة وتسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل أن تتمكن الأهواء منها وتُسَوِّدها بأكدار المعصية والضلال . وكان رسول الله ﷺ يشترط على وفود الأعراب بعد إسلامهم أن يقرأوا القرآن بينهم ويُعَلِّموهم أمر الدين ويقيموا المؤذنين .

روى البيهقى فى « شعب الإيمان » أن النبى ﷺ قال : « يا أهل القرآن .. لا تتوسدوا القرآن (أى لا تناموا عنه) واتلوه حق تلاوته فى آناء اللَّيل والنهار وأفشوه وتغنوه وتدبروا ما فيه لعلكم تُفلحون ، ولا تعجلوا ثوابه (أى فى الدنيا) فإن له ثواباً (أى فى الآخرة) » .

وقد حدث فى العصور الأخيرة أن انخدع المسلمون بالحضارة الغربية الشرقية (وكلتاهما عدوة للإسلام) وعملوا بما يقول مستشاروها الوافدون فأهملوا شأن القرآن ، وأفقروا أهله وعزلوهم عن المجتمعات . وأقاموا فى مراكز المسئولية أناساً لا علاقة لهم بالقرآن ولا بالدين .

فكثر الغش والاختلاس ، وتدهورت الأخلاق ولا زالت أكثر البلاد فى محاولة لعلاج مشاكلها المتزايدة منذ مئات السنين .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) المائدة : ٤٩ - ٥٠ .

الفصل الخامس

أحكام عامة

- ترجمة القرآن .
- الهجوم عليه .
- الخرافة حوله .
- التجارة به .
- تسجيل القرآن .
- إذاعته .

ترجمة القرآن

القرآن الكريم مُعْجِز بلفظه ومعناه – فلا يجوز أن يسمى قرآناً ما كان بلغة غير العربية ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ (٢) .

فإذا أريد تقريب معانيه لقوم لا يعرفون العربية ، فلتكن تلك المؤلفات من باب التفاسير أو الترجمات اللفظية للمعانى وليست بمصاحف على الإطلاق ، وغالباً ما تجد هذا المعنى فى مقدمة كل ترجمة من تلك التراجم .

والأصل الواجب : أن يتعلم المسلمون لغة دينهم من كل جنس ولغة – لأن هناك عبادات لا تصح إلا باللغة العربية ، ولأنها لغة بارعة واسعة سهلة نالت تكريماً من الله عز وجل . ولا زلت ترى رواد العلم والنهضة فى كل بلد من بلاد الإسلام غير العربية – هم أولئك الذين درسوا اللغة العربية أو اتصلوا بأهلها – وبالتالى ترى أعداء الإسلام وخصوم الدعوة هم أولئك الذين التقطهم الاستعمار فى سن مبكرة فقطعهم عن العربية وأهلها .

وتوجد للقرآن الكريم ترجمات كثيرة متداولة بلغات عديدة كالفرنسية والإنجليزية والأوردية والإيطالية والأسبانية والألمانية والأندونيسية والسواحلية والإفريقية الغربية وغيرها .

وهناك جهود لإنجاز ترجمات جديدة لأكثر من مائة لغة – لمعانى القرآن الكريم – مع جهود موازية لتعليم اللغة العربية للشعوب المسلمة على نطاق واسع والحمد لله .

* * *

(١) يوسف : ٢ (٢) الزمر : ٢٨

الهجوم عليه

القرآن الكريم هو المعجزة الإلهية الخالدة على مر الأزمان ، وقد كانت معجزات الأنبياء السابقين وقتية أو محلية .. لكن هذه المعجزة دائمة وشاملة ، لذلك فقد أعيا القرآن خصوم الإسلام قديماً وحديثاً .

ففي القديم يصف الله عداوتهم بقوله : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾ (١) ، ﴿ وَقَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (٢) ، و ﴿ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ (٣) ، ﴿ وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٤) .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ (٥) .

وفى العصور الحديثة – ظهرت صنعة الاستشراق .. لمهمة ظاهرها علمى وهدفها حربى – للبحث فى هذا الدين وتزييف حقائقه والهجوم عليه وعلى أتباعه من خلال المؤلفات والجامعات والإرساليات .

فقالوا : « إنه منقول من كتب الأقدمين » ..

وقالوا : « فيه تناقض » ، وقالوا : « إنه هو سبب تخلف الشعوب المؤمنة به » ، وقالوا : « وقع فيه تحريف عند التدوين » ... وأخيراً استعانوا بتلاميذهم من المسلمين المغفلين لإبعاد القرآن عن السيطرة على المجتمع . وأبعدوه تدريجياً عن المحكمة والمدرسة والبيت والشارع والسوق . وبقى تلحينه فناً من الفنون ، يُذاع ضمن الأغانى أو يرتزق منه بعض أصحاب النفوس الفقيـرة ، وعندما اطمأنوا أنه لا يحرك ساكناً فى قلوب أكثر أتباعه ، أصبح يُذاع من إذاعة لندن وإسرائيل . كفَنٍ من الفنون الشعبية لا أكثر .

* * *

---

(١) النمل : ١٤ — (٢) الفرقان : ٥ — (٣) النحل : ١٠٣

(٤) الزخرف : ٣١ — (٥) يونس : ١٥

الخرافة حوله

معلوم أن المبالغة فى كل شىء تُفسد الجوهر .

لقد آمن المسلمون بأن هذا القرآن من عند الله – وأنه كتاب حق ومنهاج دنيا ودين – لكن فريقاً منهم ركبهم الغلو – فانتقلوا من دار الإيمان إلى دار الخرافة والطغيان – وقد ساعدهم على ذلك فريق من المنافقين ممن لا يؤمنون به ولا يحبونه . ونشأت لذلك فرق ومدارس من غلاة الصوفية ومَن لَفَّ حولهم ..

١ – فقام بعضهم بالبحث فى دلالات الحروف من أرقامها وهو « حساب الجُمَّل » بضم الجيم وتشديد الميم ..

فمثلاً :	ا ب ج د	هـ و ز	ح ط ى	ك ل م ن	إلخ
أرقامها	١ ٢ ٣ ٤	٥ ٦ ٧	٨ ٩ ١٠	٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠	

تكوِّن كلمة م و ز و ن

حسابها ٤٠ + ٦ + ٧ + ٦ + ٥٠ = ١٠٩

فإذا أراد عبد السميع إبراهيم – أن يتزوج فاطمة عبد الله مثلاً فيذهبان إلى متخصص من هؤلاء الشياطين ليحسب هذه الأرقام ويخرج بنتيجة الموافقة أو عدم الموافقة – وهذا من التنجيم المنهى عنه شرعاً .

٢ – وقام بعضهم باستخدام السور والآيات لجلب المنفعة أو إلحاق الضرر بالناس كما يزعم ، فيقول لك : « إن أردت أن تكسب القضية فاقرأ سورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ألف مرة ، والحاقة ١٢ مرة ، وتبارك ٧ مرات » .

وإن أردت أن تخرب بيت فلان فعليك بتلاوة عدِّية « يس » مائة مرة فسوف تبور تجارته أو يموت ولده .

٣ - ومن الناس مَن تنحصر صلته بالقرآن فى التبرك به - كأن يربط المصحف على رجل السرير أو يعلقه فى ظهر السيارة أو يضعه فى ركن من البيت لمنع الحريق - وقد يكون ممن لا يُصَلّون ولا يصومون ولم يفتحه مرة واحدة ليتلو آية منه ، وهو عمل ظاهره الطاعة وحقيقته أنه أصبح تميمة ؛ وتعليق التمائم بكافة أنواعها ممنوع شرعاً .

نعم .. إن القرآن مبارك ميمون - وهو كلام رب العالمين ، ولكن الاكتفاء بمعانى استغلاله دون الانتفاع بَهديه مخالفة صريحة لكلام رب العالمين .

* * *

التجارة بالقرآن

لقد أنزل الله هذا الكتاب ليكون هداية للبشرية فى سلوكها فى الحياة ودليلاً إلى الجنة بعد الممات ، ولكن حاجات الناس وأطماعهم دعتهم إلى تحريف تلك الغاية فصاروا يأكلون به خبزاً - وبعضهم يأكل به زبداً - واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدُّوا عن سبيله ، ويغضب الله لهذا التحريف أشد الغضب بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

سمعتُ من بعض الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة أن قارئاً عربياً زارهم ففرحوا به ودعوه ليقرأ على الأمريكان حتى تلين قلوبهم لذكر الله ، فطلب منهم أجراً مقدماً هو (. . . ٢٥ دولار) فقط لاغير - فعجزوا عن جمعها لفضيلته ، فعاد ولم يقرأ لهم شيئاً .

ومن أحاديث الإعجاز ما قاله رسول الله ﷺ فى حق هذا وأمثاله : « سيأتى على الناس زمان يُلَحِّنون القرآن تلحين الغناء لا يجاوز حناجرهم (أى لا يؤثر فيهم) مفتونة قلوبهم وقلوب مَن يعجبهم شأنهم » .

وقد راجت التجارة بتلاوة القرآن فى كثير من البلاد الإسلامية .

---

(١) التوبة : ٩

فمنهم مَن يجعله تمائم وأحجبة - وهذا ممنوع شرعاً .

ومنهم مَن يقرؤه على القبور وفى الطرقات ليرتزق منه وهذا ممنوع شرعاً .

ومنهم مَن يقرؤه فى حفلات العزاء والأفراح ليرتزق منه وهذا ممنوع شرعاً .

ومنهم مَن يستعمله حتى للسحر والنشرة (فك السحر) وهذا ممنوع شرعاً .

ويجب أن يجعل المسئولون جداً لهذه المخالفات والفضائح صوناً لكتاب الله العزيز .

* * *

تسجيل القرآن

يجوز تسجيل القرآن الكريم على الأجهزة الحديثة المعروفة ولكن بشرط أن لا يختلط بغيره من كلام الناس والأغانى - ولا يُذاع معها ولا فيما بينها تكريماً له عن أن يكون لهواً كهذه الملاهى وخشية التعرض لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١) .

وتوجد أسطوانات عليها تسجيلات وترتيلات مجوَّدة لبعض القرَّاء ، كما توجد تسجيلات كاملة للقرآن كله على أشرطة مخصوصة .

ومن التحدث بنعمة الله أن نذكر أن أول تسجيل كامل للقرآن المرتَّل كان صادراً عن مؤلف هذا الكتاب ، عندما كان مديراً لمعارف قَطَر قبل أن تفكر أية دولة فى ذلك ، وقد أهديت أول نسخة منه لمكتبة الأزهر الشريف سنة ١٣٧٦ هجرية (١٩٥٦ م) كما أهديت النسخة الثانية لمكتبة معارف قَطَر (وكانت تقع فى ١٥ قرصاً) .

---

(١) لقمان : ٦

وقد أُشيع أن بعض الدول الاستعمارية - بمعاونة اليهود تقوم بطبع « قرآن مختصر » الغرض منه تحريف الإسلام وحذف الآيات التى فيها ذكر الجهاد وذم اليهود ، فأعلنت الجمهورية العربية المتحدة عن مسابقة بين القرَّاء لترتيل القرآن، وقد فاز فيها الشيخ محمود خليل الحصرى ، وصدرت أول مجموعة من أسطوانات القرآن المرتل سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) وعددها (٤٤ أسطوانة) تُباع وتُهدى إلى كافة أنحاء العالم ، فقضت بذلك على تلك الخطة الخبيثة ... وحفظ الله كتابه من التحريف .

وقد تعددت تسجيلات القرآن المرتَّل وأدخلت عليها تحسينات جعلتها أسهل تداولاً وأحسن عملاً .

وأصبح من الميسور أن يحمل الإنسان القرآن المرتَّل كاملاً مجوَّداً فى يده أو فى جيبه دون مشقة .

والواقع أن هذه التلاوة المرتَّلة تبعث فى النفس الخشوع ، وفيها أثر الإخلاص، فضلاً عن خلوها من الأخطاء وبُعدها عن الرياء فيما نحسب .

* * *

إذاعة القرآن

إن قصة إذاعة القرآن الكريم من محطات الإرسال الرسمية كانت موضع بحث طويل بين العلماء فى أوائل هذا القرن .

فقد قال بعضهم بعدم جوازها لأنها تصدر من أجهزة تُستعمل للّهو والتسلية، وليس لها وقار العبادة والخشية التى يجب توفرها لكتاب الله العزيز - وأيضاً لأن هذه التلاوة تُفرض على مَن ليس مستعداً للإصغاء إليها أو استماعها وقد يُعرض عنها فيقع فى الإثم . وقد يُساء إرسالها فتكون مؤذية للناس عامة وتُبَغِّض الإسلام لغير المسلمين وبذلك تدخل فى باب الصد عن سبيل الله .

وبالفعل نعرف أسماء عدد من المشايخ - رحمهم الله - رفضوا كل محاولة من محطة الإذاعة المصرية فى ذلك الوقت لتلاوة القرآن الكريم من خلالها - إعزازاً لكتاب الله الكريم ، مع شدة حاجتهم وكثرة ما عُرِضَ عليهم .

وقال البعض الآخر بأنه مع ما فى قول الآخرين من وجاهة ، فإن فيها نفعاً يتمثل فى التذكير بالله وتخفيف الشعور باللهو والغفلة - فقبلوا عروض الإذاعة وغلب هذا الاتجاه فأصبح القرآن الكريم يُذاع فى فترات من الإذاعة اليومية .

والذى نقصده هو ما يجب على المسلم فى استعمال جهاز أو مكبر الصوت وما يجب على المستمع كذلك .

يظن بعض الناس أن إذاعة القرآن الكريم على ضيوفه - من الراديو - فى جلساتهم العائلية أنه من حب الله وكتابه - وهذا صحيح - لو ضمن الإنسان أن هؤلاء الضيوف وأفراد العائلة سوف يُنصتون تماماً ولا يخوضون فى أى حديث حتى لو طالت مدة القراءة فى جلستهم ، أما إذا كان القرآن سيُتخذ مهجوراً فيعرض السامعون عنه ويمضون على طريقتهم فالأولى أن يصون المسلم كتاب الله عن ذلك .

* * *

القسم الثانى - قسم التجويد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً *
نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً *
أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً *
إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ .

(قرآن كريم)

الفصل السادس

التجويد

- مقدمة .
- تعريف التجويد .
- المد المتصل والمنفصل .
- أحكام النون الساكنة .
- حكم الميم الساكنة .
- تمرينات .

مقدمة

﴿ الحَمْدُ للّه الّذى أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا ﴾ (١) وجعله هداية للناس ، وأمرنا أن نتقرب إليه بتلاوة ألفاظه ، وفهم معانيه ، وإقامة حدوده .

وصلى الله على سيدنا محمد الذى نقل إلينا القرآن عن الله عز وجل ، ولم يُزِدْ فيه حرفاً ، ولم يُغَيِّر منه شكلاً . وما نطق عن الهوى ..

ورضىَ الله عن أصحابه الذين حفظوه فى الصدور وفى السطور ، وكان أعز عليهم من أرواحهم ، ثم نقلوه إلينا كما أنزله الله تعالى .

أما بعد ...

فإنه لما انتشر الإسلام فى أقطار كثيرة لا تعرف اللُّغة العربية ، وتكلم بالقرآن أقوام لا تستقيم ألسنتهم بحروفه ؛ كثر اللّحن والخطأ ، فخاف علماء المسلمين عليه من التغيير والتحريف ، وقام بعضهم بوضع أصول وقواعد تضمن صحة النطق بالقرآن وسموها « علم التجويد » .

● وقد أفادت هذه القواعد فى المحافظة على كتاب الله حتى وصل إلينا سليماً من التحريف عبر القرون ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) .

غير أن بعض المتشددين قد بالغوا فى هذا الفن ، وعقّدوا على الناس فهمه ، ووضعوا فى ذلك مؤلفات كثيرة وأشعاراً وشروطاً ما وردت فى كتاب ولا سُنَّة حتى قال بعضهم : « والعلم بالتجويد حتم لازم .. مَن لم يُجَوِّد القرآن آثم » .

وحرَّم بعضهم التلاوة على مَن لم يحفظ أصول التجويد ، وهذا التشديد باطل ، لأن رسول الله ﷺ يقول : « الماهر بالقرآن مع السَفَرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن يتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران » .

---

(١) الكهف : ١ (٢) الحجر : ٩

● وفى مقابل ذلك طالَب بعض العلماء بإلغاء هذه الصناعة مطلقاً ، والاستغناء عن علم التجويد اكتفاءً بالاطمئنان والخشوع ومحاولة التعلم كما كان الحال فى صدر الإسلام ، ولأن هذه القيود الكثيرة أصبحت تُشغل القارىء عن إدراك المعنى الذى هو المقصود ، بل إنها خرجت بالقراءة إلى درجة التحريف واللّعب بكتاب اللّه والرياء والسمعة كسائر الأغانى وذلك من أكبر المعاصى .

● ومع ما فى حجة هؤلاء من وجاهة ، إلا أنه نظراً لبُعد عهد الناس بالعربية الفصحى والاختلاف الواضح بين اللّهجات فى الأقطار الإسلامية تأثراً بما طرأ عليها من استعمار وهجرات وجوار ، فإننا نرى أن قواعد التجويد الأساسية لازمة نافعة ، وخاصة للمبتدئين ، بشرط اجتناب التعقيد والمبالغة التى أُخذت على المتشددين من المتقدمين .

● وعلى هذه القاعدة قمنا بوضع هذه الرسالة ، مراعين فيها إعطاء مقياس سهل واضح - واستبعاد ما لا ضرورة له كالإشمام - والاستفال والاستعلاء ومناطق إخراج الحروف ونحو ذلك . تحقيقاً للنفع ودفعاً للعقيدة - كما صدرنا هذه الرسالة ببعض ما يتعلق بالقرآن الكريم مما لا غِنَى لمسلم عن معرفته .

● ونأمل أن يلاحظ معلمو التجويد ما يأتى :

أولاً : إشعار التلاميذ ببساطة التجويد ، وأنه يخضع للذوق بحيث يعتبر مجوِّداً كل مَن أحسن الأداء ، ولو لم يتعلم من هذه القواعد شيئاً ، لأن التجويد ليس إلا تسجيلاً لقراءة شخص متقن للتلاوة . ولم يكن علماً مستقلاً على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ولا الصحابة الكرام .

ثانياً : ألا يُكلّف الطالب إلا بحفظ المهم جداً من هذه القواعد ، وينبغى أن ينصب الاهتمام على تدريبه حتى يكتسب العادة .

ثالثاً : ولا يكتفى المُعَلّم بالأمثلة الواردة هنا ، ولكن يطبق القواعد على المصحف ذاته لينقلهم إلى الواقع المطلوب فى المجال الواسع .

وقد لاحظنا أثناء إشرافنا على تدريس هذه المادة - أن بعض الأساتذة استطاع بلباقة أن يجعل تلاميذه يلمون بكل أحكام التجويد فى أربع حصص لا غير ، ثم كانت باقى دروس العام تمرينات يملؤها سرور التلاميذ بفهمهم لهذا الفن الجميل .

ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً للخير ، والحمد لله رب العالمين .

والله تعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ [1] .

فانصرف الناس بسبب هذا التشديد إلى الأوراد والأدعية وتركوا تلاوة القرآن خوفاً من الغلط فيه .. مع أن قراءة القرآن أفضل العبادات على الإطلاق .

* * *

تعريف التجويد

التجويد لغة : هو التحسين ومحاولة الوصول للإجادة فى شىء ما .

واصطلاحاً : هو الفن الذى نتعلم به صحة النطق بحروف القرآن الكريم ومعرفة أحوال الوقوف على آياته .

الغرض منه : حفظ اللّسان عن الخطأ فى تلاوة القرآن .

والأبواب الرئيسية هنا هى : أحكام المد - وأحكام النون الساكنة والتنوين - وأحكام عامة .

أحكام المد

تعريف المد : هو إطالة الصوت بحرف من الحروف .

حروفه : الألف والواو والياء .

أسبابه : هو ضرورة صوتية لكى يظهر جمال الكلام .

وهو قسمان :

١ - المد الطبيعى .　　　２ - المد غير الطبيعى .

(١) القمر : ١٧

أولاً : المد الطبيعى

هو المد المعتاد الذى لا يكون بعد حرف المد فيه همزٌ ولا ساكن .. مثل :

﴿ قَالَ ﴾ - ﴿ كَانَ ﴾ - ﴿ لإِيلاف ﴾

﴿ اللَّهُ ﴾ - ﴿ مَالَهُ ﴾ - ﴿ سَيَصلَى ﴾

وأكثر الممدود فى القرآن من هذا النوع السهل .

وحكمه : أن يمد حركتين (قدر ثانية واحدة)

كما تقول : واحد .. اثنين .

ثانياً : المد غير الطبيعى

وهو الذى يقع بعد حرف المد فيه همزٌ أو سكون ، فإن وقع بعد حرف المد فيه همزٌ يسمى متصلاً أو منفصلاً ، وإن وقع بعد حرف المد فيه سكون يسمى لازماً، أو عارضاً للسكون .

* * *

المد العارض للسكون

إذا جاء بعد حرف المد همز ، يلزمنا أن نزيد المد قليلاً ، لأن الهمزة تخرج من آخر الحلق ، فنجعل المد أربع حركات : (بمقدار ما نعد : واحد .. اثنين .. ثلاثة .. أربعة ..) ويجوز أن نزيدها إلى خمس أو ست حركات [1] .

مثال : ﴿ يَا أَيُّهَا ﴾ - ﴿ إِنَّا أَوْحَينا ﴾ - ﴿ قولوا آمَنَّا ﴾

وهذا النوع يسمى مداً منفصلاً ، لأن المد فى كلمة والهمز فى كلمة أخرى .

مثال آخر : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ ﴾ - ﴿ هَؤُلاءِ ﴾ - ﴿ قَائِمَةٌ ﴾ - ﴿ سِيئَت وُجُوهُ ﴾ وهذا النوع يسمى مداً متصلاً لأن المد والهمز كليهما فى كلمة واحدة .

(١) هذه الحركات تقريبية وتقديرية ، ثم إن القارىء يسرع بها أو يبطىء حسب مستوى القراءة .

تمرين ١ : اقرأ لنفسك سورة « التين » واكتب مدودها الطبيعية فى ورقة خارجية .

تمرين ٢ : ضع خطاً خفيفاً بالقلم الرصاص تحت المدود الطبيعية فى الآيات الآتية :

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾ . (الإنسان : ١٤ – ١٨) .

تمرين ٣ : اقرأ لنفسك سورة « القدر » واكتب فى ورقة خارجية ما فيها من مَدٌّ يتبعه همز (أى متصل أو منفصل) .

تمرين ٤ : ضع خطاً خفيفاً بالقلم الرصاص تحت المد المتصل أو المنفصل فى الآيات الآتية :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ .

(البينة : ٥)

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ، وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . (الحديد : ١٩)

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ .

(الليل : ١٩ ، ٢٠)

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

(الرحمن : ٦٠ – ٦١)

* * *

المد اللازم

هو : كل مدٍّ يتبعه ساكنٌ

فيحسن أن نمدّه ست حركات ليظهر المدُّ بوضوح مثال :

﴿ ق ، والقُرْآنِ المَجِيدِ ﴾ أصلها حسب السماع (قافْ)

﴿ ن ، وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ نحن نسمعها (نُونْ)

﴿ آلم * ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ أصلها (ألف . لام . ميم)

« يس » .. « طه » .. « ق » .. « آلمر » .. « كهيعص » .. « ص ».. « طس » .

وهى ١٤ حرفاً يجمعها قولك « نقص عملكم » وكل حرف منها يُدُّ ست حركات ، أما الحروف التى منها لا يتبعها ساكن مثل : الطاء من « طس » فتُمَد حركتان .

مثال آخر :

﴿ الحَاقَّةُ ﴾	أصلها (الحاقْ قَة)
﴿ الطَّامَّةُ ﴾	أصلها (الطامْ مَةُ)
﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِى اللَّهِ ﴾	أصلها (أتحاجْ جُوننا)
﴿ وَلَا الضَّآلِّينَ ﴾	أصلها (الضالْ لين) [1]

وهكذا ...

* * *

(١) ولما كان التجويد يعتمد على السمع لا على الإملاء فيعتبر الحرف المشدد بحرفين ، الأول منهما ساكن والثانى حسب تشكيل الشدة .

المد المتصل والمنفصل

هو كل مَدّ طبيعي سنقف بعده عن القراءة ، ويكون غالباً فى نهاية الآيات ..
مثال :

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (الواقعة : ٧٤) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحديد : ٢٥) .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران : ١٨٥) .

﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (الرحمن : ٥٢) .

ويجوز أن نمدّه من حركتين إلى ست حركات حسب حالة القراءة [١] .

تمرين ١ : ضع خطاً خفيفاً تحت المد اللازم فيما يأتى :

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ (آل عمران : ٢٠) .

﴿ حَمٓ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (فصلت : ١ - ٢) .

﴿ طَسٓمٓ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾ (الشعراء : ١ -٢) .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴾ (النازعات : ٣٤) .

﴿ طهٓ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ (طه : ١ - ٢) .

تمرين ٢ : اقرأ فاتحة الكتاب لنفسك ، وقل لأستاذك كم فيها من مدّ لازم [٢] .

تمرين ٣ : اقرأ سورة « التين » وَبيِّن ما فيها من مدود عارضة للسكون .

---

(١) فى قراءة الإنسان لنفسه يكون المد العارض للسكون حركتين ، وفى تسجيلات القرآن المرتّل نجده أربع حركات ، وفى تلاوة قراءة الإذاعة من الآخرين قد يصل إلى ست حركات .

(٢) هناك تفريعات أخرى لأحكام المد لم نجد ضرورة لذكرها فى هذا المختصر .

تمرين ٤ : اقرأ سورة « اللّيل » وبَيِّن ما فيها من ممدود .

تمرين ٥ : كم مداً عارضاً للسكون فى سورة المرسلات ؟

* * *

أحكام النون الساكنة والتنوين [١]

مقدمة : لقد دعانا النبى ﷺ إلى أن نتغنّى ونترنّم بالقرآن مع مراعاة الخشوع وعدم اللّعب به . وأحكام هذا الباب تضبط طريقة الترنم هذه بحيث تجعل للتلاوة عذوبة وموسيقى سهلة مقبولة بإدخال بعض الحروف المتشابهة والمتقاربة فى بعضها البعض ، بدون تضييع لها ، ولا إفساد للمعنى .

وتنقسم إلى أربعة أقسام :

١ - الإظهار .　　٢ - الإدغام .

٣ - الإخفاء .　　٤ - الإقلاب .

* * *

الإظهار

هو إظهار النون الساكنة (أو التنوين) بوضوح فى النطق ، ويحدث ذلك إذا جاء بعدها أحد هذه الحروف (ء . هـ . ع . ح . غ . خ .) وذلك لأن حرف النون يُنطق من أول الفم ، وهذه الحروف تُنطق من آخر الفم - فلا تقارب بينها . ويجمعها هذا البيت :

هَمْزٌ فهاءٌ ثم عينٌ حاءٌ　　　مُهمَلتان [٢] ثم غَيْنٌ خاءٌ

(١) يدخل التنوين فى هذا الباب لأنه فى النطق نون ساكنة .

(٢) أى ليس عليهما نقط .

مثال الهمزة : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾ - ﴿ عِوَجاً ، أُولَئِكَ ﴾ - ﴿ بِسُلْطَانٍ إِلَّا ﴾.

الهاء : ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدىً ﴾ - ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ - ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ .

العين : ﴿ أَجْراً عَظِيماً ﴾ - ﴿ وَإِنْ عُدْتُّمْ عُدْنَا ﴾ - ﴿ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ ﴾ .

الحاء : ﴿ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ - ﴿ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ - ﴿ يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً ﴾ .

الغين : ﴿ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ - ﴿ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا ﴾ .

الخاء : ﴿ لَطِيفاً خَبِيراً ﴾ - ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾ - ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ .

* * *

الإدغام

هو جعْلُ النون الساكنة مع الحرف الذى يليها كحرف واحد فى النطق [1] ويكون ذلك إذا وقعت قبل الحروف الآتية : « ى . ر . م . ل . و . ن . » ويجمعها قولك « يرملون » وذلك لتقارب مخارجها فى مُقَدَّم الحلق مثال :

الياء : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ ﴾ - ﴿ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ﴾ - ﴿ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ .

الراء : ﴿ مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً ﴾ - ﴿ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ - ﴿ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

الميم : ﴿ لأجلٍ مُسَمَّىً ﴾ - ﴿ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ ﴾ - ﴿ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴾ .

اللام : ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ - ﴿ فَسَلَامٌ لَّكَ ﴾ - ﴿ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ .

الواو : ﴿ قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ - ﴿ رَّحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ - ﴿ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾.

---

(١) بعد قلب النون حرفاً مماثلاً لما بعدها إن كان غير النون من الأحرف المذكورة ، فإن كان ما بعدها نونا تدغم فى النون .

(٢) الإدغام مع الراء واللام يكون بغير غنة ، ومع الأربعة الباقية يكون بغنة ، والغنة : هى الصوت الذى يخرج من الأنف مع النطق .

النون : ﴿ إِنْ نَشَأْ ﴾ - ﴿ كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ ﴾ - ﴿ عَذَاباً نُّكْراً ﴾ .

تمرين ١ : اقرأ عشر آيات من سورة الإنسان وسجِّل فى ورقة أخرى ما فيها من مواطن الإدغام .

تمرين ٢ : اقرأ سورة « العَلَق » وسجل ما فيها من مواطن الإظهار .

تمرين ٣ : ضع خطًّا تحت مواضع الإدغام فيما يأتى :

﴿ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة ص : ٧٠).

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ﴾ (سورة ص : ٧١)

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

(سورة ص : ٨٦)

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة ص : ٨٧).

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (سورة ص : ٨٨).

تمرين ٤ : ضع خطاً تحت الإظهار فيما يأتى :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ (النحل : ٧٢)

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ﴾ .(النحل : ٨٩) .

﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ، إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ﴾ .

(النحل : ٧٢)

تمرين ٥ : تصفَّح كتاب الله واستخرج ثلاث آيات فيها إدغام .

تمرين ٦ : تصفح كتاب الله واستخرج ثلاث آيات فها إظهار .

* * *

الإقلاب

هو قلبُ النون الساكنة أو التنوين ميماً ، إذا كان أحدهما باء ... والسبب فى ذلك تقاربهما ، وأن حرف الباء أقوى لاجتماع الشفتين على تكوينه .

مثال : ﴿ يَنْبَغِى ﴾ - ﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ - ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾

* * *

الإخفاء

هو نطق النون الساكنة أو التنوين بشكل متوسط بين الإظهار والإدغام إذا جاءت بعدها الحروف الآتية :

« ص . ذ . ث . ك . ج . ش . ق . س . د . ط . ز . ف . ت . ض . ظ » .

وهى خمسة عشر حرفاً مجموعة فى أوائل كلمات البيت الآتى :

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْص قَدْ سَمَا   دُمْ طيِّباً ، زِدْ فى تُقىً ، ضَعْ ظَالماً

مثال : يَنْطِقُ - عَفُوّاً قَدِيراً - إِنْ جَاءَكُمْ - مَنِ اتَّبَعَ .

تمرين ١ :

● ضع خطاً خفيفاً تحت مواطن الإقلاب فيما يأتى :

﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ - ﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ - ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ .

● اقرأ عشرين آية [1] من سورة المعارج وبَيِّن مواضع الإخفاء فيها .

تمرين ٢ : ضع خطاً تحت مواطن الإدغام والإخفاء فيما يأتى مبيناً السبب :

● ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً ﴾ (الفرقان : ١٠) .

● ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ، وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً ﴾ .
(الفرقان : ١١).

---

(١) يلاحظ وصل الآيات حتى يظهر ما فيها من أحكام التجويد .

● ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾(الفرقان:١٢)
● ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ .

(الفرقان : ١٣)

تمرين ٣ : إيت بثلاث آيات فيها إقلاب .

تمرين ٤ : بيِّن أماكن الإظهار والإدغام والإخفاء فى الآيات الآتية :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً ، إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ * الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ .

(فاطر : ٥ - ٧) .

* * *

حكم الميم الساكنة

الإظهار : إذا وقع بعد الميم الساكنة أى حرف من حروف الهجاء غير الباء والميم يجب إظهارها مثل : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلْطَانٌ ﴾ - ﴿ إِنَّهُمْ إِذاً ﴾ - ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ - ﴿ يَمْشُونَ ﴾ .

الإخفاء بغُنَّة : إذا وقع بعدها حرف « الباء » يجب إخفاؤها مع غُنَّة . مثل : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ - ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ﴾ - ﴿ وكُنْتُمْ بِآيَاتِنَا ﴾ - ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ ﴾ .

الإدغام : إذا جاء بعدها حرف « الميم » تدغم فيما بعدها مثل : ﴿ وَجَاءَهُمْ مَا يُوعَدُونَ ﴾ - ﴿ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ .

* * *

حكم الراء

التفخيم : تنطق الراء واضحة مفخمة من وسط الفم إذا كانت مفتوحة مثل : ﴿ بِرَبِّكُمْ ﴾ - ﴿ يُسْراً ﴾ - ﴿ وَتَرَى الجِبَالَ ﴾ .

أو مضمومة مثل : ﴿ رُوحُ القُدُسِ ﴾ - ﴿ نَصْرُ اللهِ ﴾ .

أو ساكنة مثل : ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ﴾ - ﴿ قُرْآناً عَرَبِياً ﴾ .

وقبلها مضموم أو مفتوح [1] مثل : ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ - ﴿ بَرْداً وَسَلَاماً ﴾ .

الترقيق : تنطق الراء رقيقة من ملامسة الأسنان العليا إذا كانت مكسورة (غالباً) أو كانت ساكنة وقبلها مكسور مثل : ﴿ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ - ﴿ فَبِئْسَ القَرِينُ ﴾ - ﴿ بَارِدٍ ﴾ - ﴿ بِالمِرْصَادِ ﴾ .

* * *

لفظ الجلالة

تُفَخَّم اللام فى كلمة « الله » إذا كان ما قبلها مضموماً مثل : ﴿ نَصْرُ اللهِ ﴾ - ﴿ رَسُولُ اللهِ ﴾ .

أو مفتوحاً مثل : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ - ﴿ إِنَّ اللهَ ﴾ ..

وترقق إذا كان ما قبلها مكسوراً مثل : ﴿ بِاللهِ ﴾ - ﴿ وَيُنَجِّى اللهُ ﴾ - ﴿ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ .

الإدغام العام : ويكون لكل حرفين من نوع واحد مثل : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِى ﴾ - ﴿ يُوجِّهْهُ ﴾ - ﴿ يُدْرِكْكُمْ ﴾ .

ولكل حرفين متجانسين فى مخرجهما أو متقاربين [2] : ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ ﴾ - ﴿ ارْكَبْ مَعَنَا ﴾ - ﴿ يَلْهَثْ ذَلِكَ ﴾ .

---

(١) وتفخم كذلك فى قليل من المكسور مثل : ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ .

(٢) معلوم أن الإدغام يسبقه إبدال الحرف الأول حرفاً مماثلاً للثانى .

ومثل : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى ﴾ - ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ ﴾ ، وهذا شىء يفعله القارىء من نفسه ، لأنه أسهل على اللّسان وأفضل فى النطق .

اللّحن : هو كل نُطق أو تشكيلٍ يُغيِّر معنى القرآن الكريم [1] وذلك حرامٌ طبعاً ، مثل:

أنعمتُ عليهم .. بدلاً من ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾ .

إن الله هو الرزّا ءُ .. بدلاً من ﴿ الرَّزَّاقُ ﴾ .

عَىٌّ على الصلاة .. بدلاً من حَىَّ على الصلاة .

حَىٌّ على الفلاه .. بدلاً من حَىَّ على الفلاح .

القلقلة : وهى اهتزاز الحرف بإمالته نحو حركة ما بعده وتكون فى « ق . ط . ب . ج . د » . ويجمعها كلمة : « قطب جد »

إذا وقعت ساكنة : فالقاف مثل ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ .

والطاء فى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ .

والباء فى : ﴿ يَبْغُونَكُم الْفِتْنَةَ ﴾ .

والجيم فى : ﴿ فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ ﴾ .

والدال فى : ﴿ قٓ ، وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ .

* * *

الابتداء ، والوقف ، والوصل

الابتداء : هو الشروع بالقراءة ابتداءً ، أو بعد السكوت فى أثناء القراءة .

والوقف : هو قطع النطق : إما مؤقتاً أو نهائياً ، ولكل منهما أحكام :

---

(١) ومثله الحديث الشريف والأذان .

فالابتداء التام : هو البدء بما ليس له علاقة بما قبله لفظاً أو معنى ، كالابتداء بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً ﴾ (الإنسان : ٢٣) .

والابتداء الحسن أو الكافى : هو البدء بما له علاقة بما قبله فى المعنى ، ولكن يكون معناه حسناً إذا ابتدىء به كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ (يوسف : ٧٠) [1] .

أما الابتداء القبيح : فهو الابتداء بما يفسد المعنى لشدة تعلقه بما قبله ، وهو غير جائز ، كقولك : ﴿ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف : ١٣٢) .

وقولك : ﴿ وَالْبَغْىِ ، يَعِظُكُمْ ﴾ (النحل : ٩٠) .

الوصل : يحسن عند انقطاع النفس أن تصل الكلام بما قبله إن كان لا يحسن البدء بهذا الكلام ..

كأن تقول مثلاً : ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ ... ﴾ . ثم تقف اضطراراً .

ثم تعود فتقول : ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْىِ ﴾ (النحل : ٩٠)

والوقف التام : هو ما يتم به الكلام لفظاً ومعنى مثل : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٧).

والوقف الحسن : هو، ما يحسن الوقف عليه ، ولكن الأحسن وصله بما بعده مثل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ . ثم تعود فتقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

الوقف القبيح : هو ما يقبح الوقوف عليه وقوفاً نهائياً لشدة تعلقه بما بعده ، ويفسد المعنى بالوقوف عليه ، كالوقوف على كلمة الإنس ، والصلاة ، والمصلين ، فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ ﴾ .. ولكن قل : ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦)

---

(١) وذلك بعد قوله تعالى فى سورة يوسف : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ (يوسف : ٥٨) . الآيات .. إلى أن قال : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ ﴾ (يوسف : ٧٠) .

﴿ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ ﴾ .. ولكنْ قل : ﴿ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ (النساء :٤٣)
﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ . ولكن أكمل : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ ﴾
(الماعون : ٤ – ٥)

فيلزم الوصل بين هذه الكلمات وما بعدها عند الابتداء خوفاً من إفساد المعنى بالوقف عليها والابتداء بما بعدها [١] .

اصطلاحات الوقف والوصل : وقد عُنى علماء رسم الكلمات بهذه المسائل ، فوضعوا اصطلاحات معلومة فى آخر الصفحات من أكثر المصاحف ، فيحسن بالطالب الرجوع إليها للاستفادة منها وإن كان بعضهم قد بالغ فيها ، مما أخرجها إلى الصعوبة والتعقيد .

* * *

الغُنَّة

يلزم غنُّ التنوين والنون المشدّدة والساكنة مثال : ﴿ وَإِنْ نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ ﴾ – ﴿ صَفّاً صَفّاً ﴾ – ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ .

كما تُغَنُّ الميم الساكنة المدغمة فى مثلها أو فى حرف الباء الثانى مثل : ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ ﴾ – ﴿ أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ .

* * *

صحة النطق

يجب إخراج اللّسان [٢] فى نطق الثاء والذال والظاء ، كما يجب تعطيش الجيم (فى غير مبالغة) والتعوُّد على نطق الضاد حتى لا تشتبه بالدال ، والتعوُّد

(١) ويرى بعض العلماء أنه لا كراهة مطلقاً فى الوقف على رؤوس الآيات كما هو مرسوم فى المصحف لأن الرسول ﷺ وقف عليها .
(٢) أى وضع طرفه بين الأسنان المتقدمة فى الفم .

على نطق الصاد حتى لا تشتبه بالسين ، وهذا أمر يفيد فيه السماع والتدريب وحسن استعمال الفكين كما قالوا فى التجويد ..

وليس بينه وبين تركه إلا مرانُ قارىء بفكه .

كما يُجتنب النطق بطريقة الأمم الأخرى فى الجيم ، وإبدال القاف همزة أو ونحو ذلك خوفاً من تحريف كلمات القرآن عن مواضعها ، فمثلاً :

يختلف معنى اللزين عن « اللذين » ، ومعنى الآدر عن « القادر » ، ومعنى الرزّاء عن « الرزاق » ، والسوء عن « السوق » .. إلخ .

ولنذكر ما وصف الله به هذا القرآن فى قوله : ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [1] .

على أن بعض الشعوب تبالغ فى الاحتراز بشكل يجعل الكلمات العربية مشكلة يصعب نطقها وكتابتها ، ومن أمثلة ذلك ما قرأته فى صحيفة توزع بأوروبا وقد كتب المحرر كلمة ذو الحجة هكذا (Zul - hidhjdhjah) وكان يسعه أن يكتب هكذا (Zul - hijja) لكن الحرص أحياناً يُخرج الإنسان من البساطة إلى التعقيد .

* * *

تمرينات

تمرين ١ : اقرأ الآيات الآتية مع مراعاة ما فيها من غُنَّة ومَدّ :

﴿ إنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسكُمْ ، وَإنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فَإذَا جَاءَ وَعْدُ الآخرَة ليَسُوُأْ وُجُوهَكُمْ وَليدْخُلُواْ المَسْجدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَليُتَبِّرُواْ مَا عَلَواْ تَتْبيراً ﴾ (الإسراء : ٧) .

(١) الزمر : ٢٨

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً ﴾ (الإسراء : ١٨).

تمرين ٢ : ضع خطًا خفيفاً تحت مواضع الوقف الحسن وخطين تحت مواضع الوقف القبيح فيما يلى :

﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ * قَالُواْ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَٰاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون : ٨١ - ٨٩) .

* * *

تمرين ٣ : اقرأ هذه الآيات مبيناً حكم لفظ الجلالة ، ولاحظ أن تُخرج الحروف من مخارجها الصحيحة :

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْاْ مِنْ قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾

(الأحزاب : ٦٢)

﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَٰاتِ وَالأَرْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾

(النساء : ١٧٠)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الحجرات : ١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

(الحجرات : ١٢)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾ (سورة ق : ١٢).

﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ (سورة ق : ٣٢).

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (الذاريات : ٥٠ - ٥١) .

* * *

تمرين ٤ : علّم على مواطن القلقلة وأحكام الراء فيما يلى :

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ (الذاريات : ٢٦).

﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾

(الذاريات : ٢٩)

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (الحجر : ٥٧) .

﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٧).

﴿ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ (القمر : ٩) .

* * *

تمرين ٥ : اقرأ هذه الآيات موضحاً ما فيها من أحكام الميم :

﴿ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود : ٤٨).

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ (النجم : ٥٢).

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ، فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (النجم : ٣٢).

﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (الحديد : ٧) .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾

(النساء : ٧٨)

* * *

لماذا جعلت هذا البحث صغيراً ؟

لقد طالعتُ كثيراً من الكتب المؤلَّفة فى فن التجويد - ولا أقول « علم التجويد » - فوجدت شيئاً عجيباً ...

وجدت تلك المؤلَّفات مليئة باصطلاحات كثيرة ، لم يكن يعرفها ولا يقدر عليها أحد من سَلَف هذه الأمة .. كما لا يقدر عليها إلا فئة يسيرة من المسلمين المعاصرين .

مع أن حُسن الترتيل مطلوب من كل مسلم ومسلمة .

وأن تيسير هذا الأمر يُعَدُّ من القربات إلى اللّه تعالى - لقوله جل شأنه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (١) ، وبالتالى فإن تعسيره يُعَدُّ معصية للّه تعالى .

ونحن لا نتهم العلماء ، بل ندعو لهم بالرحمة والمغفرة ، ولهم فضل السبق على كل حال . ولا نتهم نواياهم فالظاهر لنا أنهم ما أرادوا إلا الخير - ولكن الترف العلمى والفراغ وتتابع الأجيال - كَدَّس أنواعاً من الإضافات والشطحات جعلت هذا الفن صعباً لا يُطاق .

وإليكم الدليل على ذلك :

١ - قالوا فى صفة الحروف : منها الحروف الجوفية ، والحَلقية ، واللَّهوية ، والشجرية ، والذلقية ، والنطعية ، والأسلية ، واللَّثوية ، والشفوية ، ثم ألَّفوا فى ذلك اشعاراً نُريد هذا التعقيد تعقيداً.

٢ - وقالوا فى اختصاص أجهزة الجسم : وهى الجوف ، واللّسان ، والحلق ، والخيشوم ، والشفتين ، والشِدقين ، وكل الناس تعرف هذا بالفطرة وإن جهلوه فلا شىء عليهم .

---

(١) القمر : ١٧

٣ - قالوا في ما له ضدٌّ من الأصوات : وأولها « الهمس » وحروفه عشرة يجمعها قولك : « فحثه شخص سكت » ، ثم « الجهر » وحروفه ثمانية عشر حرفاً ، ثم « الشدة » وحروفها ثمانية يجمعها قولك : « أجد قط بكت » ، و« التوسط » وحروفه خمسة يجمعها قولك : « لف عمر » ، و« الرخاوة » وحروفه ستة عشر - و« الاستعلاء » وحروفه سبعة هي : « خص ضغط قط » ، و« الاستفال » وحروفه اثنان وعشرون ، و« الإطباق » وحروفه أربعة ، و« الانفتاح » وحروفه خمس وعشرون ، و« الذلاقة » وحروفها ستة يجمعها قولك : « فر من لب » ، و « الإصمات » وحروفه ثلاثة وعشرون حرفاً .

وما لا ضد له : وأولها « الصفير » وحروفه ثلاثة ، و« القلقلة » وحروفها خمسة هي : « قطب جد » ، والقلقلة أربعة أنواع أيضاً ، و« اللين » وهو حرفان ، و« الانحراف » وله حرفان ، و« التكرير » وله حرف واحد : و« التفشي » وله ستة حروف ، و« الاستطالة » وحرفها الضاد ، و« الخفاء » وله أربعة أحرف ، و« الغُنة » ولها حرفان .

وتستطرد المؤلَّفات على هذا النحو - ولا ينسى أصحابها أن يسموها المختصر المفيد - فيبين أكثرها الصفات القوية .. وأحوالها ، ثم الصفات العرضية .. وأحوالها ، في كلام طويل لا يفيد شيئاً سوى أن هذا المؤلف « بحر علم » . ثم إننا نرى في أواخر أوراق المصحف أحياناً كلاماً كثيراً عن الترقيق والتنغيم والإظهار الحَلقي والإظهار الشفوي والمنطلق ، ثم ينتقل إلى الإدغام الكامل والشمي والواجب والمجانس والناقص والصفير ، وننتقل إلى شرح الإخفاء فمنه الحقيقي والشفوي والمصاحب للإقلاب ، وإلى المد وأشكاله فمنه المد الفرعي والمزيدي والروم والإشمام .. - وكلام لن اذكره بل أعتذر إلى القارىء الكريم .. حتى لا أورد له ما أنا بصدد نقده . والمشهور في هذا كله قراءة حفص بن سليمان . فماذا لو نقلك « صاحب المختصر » إلى القراءات العشر والأربعة عشرة واستعرض معك القرآن الكريم بلغة نافع بن عبد الله - والداري - وأبو عمرو بن العلاء - واليحصبي - وعاصم الكوفي - وحمزة بن حبيب -

وأبى علىّ الكسائى – ويزيد بن القعقاع – ويعقوب البصرى – وخلف بن هشام وغيرهم فأبشر يومئذ بعمل طويل وحمل ثقيل .

ومن العجيب أننى رأيت هذه الكتب وأشباهها مثل الألفية والجوهرة وابن عقيل ومختلف المتون الأزهرية التقليدية وشروحها والتعليقات على تلك الشروح – هى التى تُدرَّس فى معظم بلاد المسلمين الأعاجم (وهم يبلغون سبعة أمثال العرب عدداً) وطلبة العلم الشرعى – المساكين – يقضون السدوات الطوال فى هضم هذه « الصعوبات العلمية » ويهرب أكثرهم إلى المدارس الحكومية – ومَن بقى صابراً على هذا – يتخرَّج بعد عشر سنين أو أكثر ولا يظفر بعمل يعيش منه. ذلك لأن بلاده – حتى ما كانت حكومتها مسلمة – لا تعترف بهذه الدراسة. ولا الشهادة الدالة على النجاح فيها . ولا يتبقى أمامه إلا أن يشتغل مقرئاً يشترى بآيات الله ثمناً ، وأكثرهم يجوع ولا يفعل ذلك – وإما أن يجلس بآلة كاتبة على باب محكمة .

إن العالَمَ يتطلع إلى بلاد العرب ينتظر منها شيئاً غير ذلك .

إنهم بأشد الحاجة إلى أئمة وخطباء يحفظون القرآن الكريم غيباً . ويعلّمونهم ما يلزم من أحكام الدين ويتكلمون الإنجليزية أو الفرنسية إن لم يعرفوا لغة البلد المعين .

إنهم بأشد الحاجة إلى معلّمين للُغة العربية بالذات ، ولكن بوسائل حديثة وطرق ميَّسره – كما فعل الإنجليز بلغتهم ، وجعلوها تنتشر فى أنحاء العالَم – وهم أيضاً بحاجة إلى نساء كثيرات فى مدارس البنات لمثل هذه المهمة فلا يظفرون بواحدة من العرب .

وكان المفروض أن توضع لهم كتب مُيَّسرة فى الفقه والتوحيد ، بأسلوب تربوى مدروس .

وكان المفروض أن نُنشيء لهم مدارس مهنية بروح إسلامية لكى يكسبوا عيشهم ويأمنوا الاضطهاد (الظاهر والمستتر فى أكثر بلاد الإسلام) حيث لا يحكمها مسلمون .

هذا وقد وجدتُ فى بعض الدول التى زرتها مؤسسات إسلامية ضخمة وجامعات بُنيت على مساحات كبيرة من الأرض فى قلب العاصمة . أنشأها أغنياء صلحاء مثل جامعة « عليكرة » فى الهند - ومثل تلك التى أسسها مهاجرون (مثل أحمد عرابى عندما اعتُقِلَ فى سيلان) ثم استولت عليها الحكومات وأقاموا عليها مديرين حكومين - وعندما سألتُ عن المسلمين علمتُ أن أكثرهم غير مسلمين أصلاً - بحجة أنه لم تتوفر لديهم كفاءات مسلمة .. إذن فقد اعتبروا تلاميذ الكتب التى أشرتُ إليها غير أكفاء .. فضلاً عن أن الذين كانوا يتعلمون من الطلبة فيها سئموا هذه المناهج فهجروها - والمعلّمون سئموا الفقر فهجروها أيضاً . ولن أتحدث عن التيّارات الفكرية المنتشرة فيها الآن . إذن لقد قضى الترف العلمى على المؤسسة وضيّعها من أيدى المسلمين .

يجب أن يعلم الناس أن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده - وأن اللّه تعالى حذّر أهل كل دين فقال : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ ﴾ [1] فالمبالغة فى حفظ المال تؤدى إلى البخل ، والمبالغة فى الكرم تُسَمَّى تبذيراً أحياناً - والمبالغة فى فروع العلم النظرى قد تكون على حساب النهضة والجدِّية والمنفعة .

لهذا جعلتُ هذا البحث صغيراً ... كما ترون .

واقتصرت فيه على ما تصحُّ به التلاوة دون تقصير ولا استطراد ، وكما قلت - فإن بعض أطفالنا يقرأون القرآن كأحسن القرَّاء دون أن يتعلموا من كل هذا حرفاً واحداً .

---

(١) المائدة : ٧٧

ثم إنى سجلتُ فن التجويد فى أنحاء من العالَم .. على شريط واحد مدته ستون دقيقة نصفها تعليم ونصفها تدريب مع مجموعة من الطلاّب الذين حضروا.. وقلت مؤكداً لهم : إن مَن سمعه مرة واحدة بانتباه - يستطيع أن يقرأ كتاب اللّه قراءة صحيحة وأن يُعلّم غيره كذلك .

أسأل اللّه أن يبصرنا بالحق . والحمد للّه رب العالمين .

٥ رجب سنة ١٤٠٥ هـ (٢٧ مارس سنة ١٩٨٥ م) .

عبد البديع صقر

* * *

مراجع لبعض كتب التفسير بالمأثور

جامع البيان فى تفسير القرآن : لابن جرير الطبرى - بحر العلوم : لأبى الليث السمرقندى - الكشف والبيان عن تفسير القرآن : لأبى إسحق الثعلبى - معالم التنزيل : للحسين بن مسعود البغدادى - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية الأندلسى - تفسير القرآن العظيم : للحافظ عماد الدين ابن كثير - الجواهر الحسان : لعبد الرحمن الثعالبى - الدر المنثور : لجلال الدين السيوطى - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : لأبى طاهر الفيروز آبادى .

● كتب التفسير بالرأى المحمود :

مفاتيح الغيب - للفخر الرازى - أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للبيضاوى - مدارك التنزيل وحقائق التأويل : للنسفى - لباب التأويل فى معانى التنزيل : للخازن - البحر المحيط : لأبى حيان - تفسير الجلالين : للجلال المحلى والجلال السيوطى - غرائب القرآن ورغائب الفرقان : للنيسابورى - السراج المنير : للخطيب الشربينى - إرشاد العقل السليم : لأبى السعود - روح المعانى : للآلوسى .

● كتب تفسير المعتزلة :

تنزيه القرآن عن المطاعن : للقاضى عبد الجبار - أمالى الشريف المرتضى : للشريف المرتضى - الكشاف : للزمخشرى .

● كتب تفسير الإمامية الإثنى عشرية :

مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار : لعبد اللطيف الكازرانى - تفسير العسكرى : للحسن العسكرى - مجمع البيان : لأبى على الطبرسى - الصافى : لملامحسن الكاشى - تفسير القرآن : للسيد عبد الله العلوى - بيان السعادة : لسلطان الخراسانى .

● كتب تفسير الزيديين :

فتح القدير - للشوكانى .

● كتب تفسير الخوارج :

هميان الزاد إلى دار المعاد : لمحمد (أطفيش) .

● تفاسير الصوفيين :

تفسير القرآن الكريم : لسهل التسترى - حقائق التفسير : لأبى عبد الرحمن السلمى - عرائس البيان فى حقائق القرآن : لأبى محمد روزبهان - التأويلات النجمية : لنجم الدين دان وعلاء الدولة البيانانكى - تفسير ابن عربى (تأويلات القاشانى) : لعبد الرزاق القاشانى .

● تفاسير الفقهاء :

أحكام القرآن (حنفى) : للجصاص - أحكام القرآن (شافعى) : للكيا الهراسى - الإكليل فى استنباط التنزيل (ن) : للجلال السيوطى - أحكام القرآن (مالكى) : لأبى بكر بن العربى - الجامع لأحكام القرآن (مالكى) : للقرطبى - كنز العرفان فى فقه القرآن (اثنى عشرى) : لمقداد السيورى - الثمرات اليانعة (زيدى) : الفقيه يوسف الثلاثى .

● كتب التفسير فى العصر الحديث :

الجواهر فى تفسير القرآن الحكيم : لطنطاوى جوهرى - الهداية والعرفان : لأبى زيد الدمنهورى - تفسير جزء عم : للشيخ محمد عبده - تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن للشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) : للشيخ محمد عبده ، والشيخ رشيد رضا - الدروس الدينية : للشيخ محمد مصطفى المراغى .

● كتب فى علوم القرآن :

مباحث فى علوم القرآن : لمناع القطان - التفسير والمفسرون : لمحمد حسين الذهبى - مقدمة فى أصول التفسير : لابن تيمية - جواهر القرآن : للغزالى - الإتقان في علوم القرآن : لجلال الدين السيوطى - الفوز الكبير فى أصول التفسير : لولى الله الدهلوى - مبادىء التفسير : لمحمد الخضرى - المدخل المنير : لمحمد حسنين مخلوف - إعجاز القرآن : لمصطفى صادق الرافعى - مناهل العرفان : لعبد العظيم الزرقانى - التفسير .. معالم حياته : لأمين الخولى - أحكام القرآن : للجصاص .

* * *

أسماء سور القرآن وأرقامها

الرقم	السورة	الرقم	السورة
١	الفاتحة	٢٠	طه
٢	البقرة	٢١	الأنبياء
٣	آل عمران	٢٢	الحج
٤	النساء	٢٣	المؤمنون
٥	المائدة	٢٤	النور
٦	الأنعام	٢٥	الفرقان
٧	الأعراف	٢٦	الشعراء
٨	الأنفال	٢٧	النمل
٩	التوبة	٢٨	القصص
١٠	يونس	٢٩	العنكبوت
١١	هود	٣٠	الروم
١٢	يوسف	٣١	لقمان
١٣	الرعد	٣٢	السجدة
١٤	إبراهيم	٣٣	الأحزاب
١٥	الحجر	٣٤	سبأ
١٦	النحل	٣٥	فاطر
١٧	الإسراء	٣٦	يس
١٨	الكهف	٣٧	الصافات
١٩	مريم	٣٨	سورة ص

الرقم	السورة	الرقم	السورة
٣٩	الزمر	٥٨	المجادلة
٤٠	غافر	٥٩	الحشر
٤١	فصلت	٦٠	الممتحنة
٤٢	الشورى	٦١	الصف
٤٣	الزخرف	٦٢	الجمعة
٤٤	الدخان	٦٣	المنافقون
٤٥	الجاثية	٦٤	التغابن
٤٦	الأحقاف	٦٥	الطلاق
٤٧	محمد	٦٦	التحريم
٤٨	الفتح	٦٧	الملك
٤٩	الحجرات	٦٨	القلم
٥٠	سورة ق	٦٩	الحاقة
٥١	الذاريات	٧٠	المعارج
٥٢	الطور	٧١	نوح
٥٣	النجم	٧٢	الجن
٥٤	القمر	٧٣	المزمل
٥٥	الرحمن	٧٤	المدثر
٥٦	الواقعة	٧٥	القيامة
٥٧	الحديد	٧٦	الإنسان

الرقم	السورة	الرقم	السورة
٧٧	المرسلات	٩٦	العلق
٧٨	النبأ	٩٧	القدر
٧٩	النازعات	٩٨	البيِّنة
٨٠	عبس	٩٩	الزلزلة
٨١	التكوير	١٠٠	العاديات
٨٢	الإنفطار	١٠١	القارعة
٨٣	المطففين	١٠٢	التكاثر
٨٤	الانشقاق	١٠٣	العصر
٨٥	البروج	١٠٤	الهمزة
٨٦	الطارق	١٠٥	الفيل
٨٧	الأعلى	١٠٦	قريش
٨٨	الغاشية	١٠٧	الماعون
٨٩	الفجر	١٠٨	الكوثر
٩٠	البلد	١٠٩	الكافرون
٩١	الشمس	١١٠	النصر
٩٢	الليل	١١١	المسد
٩٣	الضحى	١١٢	الإخلاص
٩٤	الشرح	١١٣	الفلق
٩٥	التين	١١٤	الناس

محتويات الكتاب

القسم الأول - علوم القرآن

(٣ - ٨٠)

الصفحة

الفصل الثالث : التفسير والتأويل

(٤١ - ٥٨)

الفصل الرابع : إعجاز القرآن

(٥٩ - ٧٠)

الفصل الخامس : أحكام عامة

(٧١ - ٨٠)

القسم الثاني – قسم التجويد

(٨١ – ١٠٨)

الفصل السادس : التجويد

(٨٣ – ١٠٣)

الصفحة

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب : ٤٦٥٢ / ٩٠
I . S . B . N 977 - 225 - 000 - 4